أدوات الربط وظواهر الترابط

دراسة للتماسك النصي بين

البلاغيين العرب وعلماء لغة النص

د. محروس محمد إبراهيم
أستاذ مساعد، بقسم اللغة العربية
كلية الآداب جامعة بني سويف

CamScanner

مستخلص:

قامت هذه الدراسة بالبحث والتنقيب في مصنفات كل من البلاغيين العرب وعلماء لغة النص؛ بُغية الكشف عن مدى إدراك كل فريق لأدوات الربط اللفظي وظواهر الترابط الدلالي، سواء عند تنظيرهم للنص أم عند نقدهم له وتحليلهم لمعانيه، ثم مقارنة معطيات الدرس البلاغي بمعطيات الدرس النصي؛ لبيان جوانب الاتفاق والاختلاف بين الفريقين في ذلك، والجوانب التي تَفَوَّقَ أو تَمَيَّزَ فيها كل فريق، سواء في عمق الإدراك أو شموليته عند الكشف عن أدوات الربط اللفظي وظواهر الترابط الدلالي، التي يتأسس عليها تماسك النص على مستوييه: اللفظي والدلالي.

الكلمات المفتاحية: أدوات الربط اللفظي، ظواهر الترابط الدلالي، التماسك النصي.

Connectivity Tools and Coherence Phenomena:

I've done this study for research and exploration in the works of both Arabs Alblagheyen and scientists of text language; in order to show awareness of each team to Tools verbal connectivity and the phenomena of semantic coherence, both when definition them to the text or when criticism it and their analysis of the meaning, then compared rhetorical search results of the text search results; to show aspects agreement and disagreement between the two teams in it, and aspects that surpass or distinguish where each team, both in depth perception or comprehensiveness upon detection of verbal connectivity tools and semantic coherence phenomena, which the cohesion is based upon it.

Descriptors : Connectivity Tools, Coherence Phenomena, cohesion

لا شك أن قصدية المتكلم وأغراض النص ومعانيه العامة لا تتجلى إلا فيما يُعرف بالتماسك النصي؛ فبالتماسك النصي تتحقق نصية النص، وبه يبدو النص متماسك الجمل والأجزاء والوحدات تماسكًا لفظيًا ودلاليًا في بنية كلية جامعة، على امتداد مستوياته المعجمية والصرفية والنحوية والدلالية والتداولية، وفيه تتبلور خصائصه وسماته الأسلوبية المُمَيِّزة له عن غيره من النصوص. وبغير التماسك النصي يكون النص مجرد أصداء كلمات أو جمل غير متماسكة تماسكًا يدل على معنى؛ الأمر الذي جعله جُلّ اهتمام الناصّ أو المتكلم، وكذلك مصَبّ اعتناء الناقد أو المتلقي.

فالتماسك النصي _ وإن كان أحد المصطلحات الحديثة التي عُنِيَ بها علماء لغة النص خير عناية عند تحليلهم للنص أو تنظيرهم له _ إلا أن البلاغيين العرب قد سبقت عنايتهم بتجليات هذا المصطلح وانعكاساته في النص عند تنظيرهم له أو تحليلهم ونقدهم إياه؛ مما حدا بهذه الدراسة إلى أن تجعل منه موضعًا للبحث والمناقشة وإدارة الحوار حول تجلياته لدى كل من البلاغيين العرب وعلماء لغة النص في تنظيرهم للنص ومقاربتهم له ومحاولتهم لتحليل معانيه والكشف عن مقاصده؛ لأن التماسك النصي إذا كان يمثل جوهر النص وكينونته، فلا غَرْوَ أن يمثل مناط فائدته ومَجْمَع معانيه ومَعْقِد قصوده وأغراضه.

ولذا، فإن هذه الدراسة تبحث فيما يتحقق به التماسك النصيّ للنص، فتجيب عن سؤال مؤاده: ما أدوات الربط وظواهر الترابط التي يتجلى فيها التماسك النصي؟! وهل أدرك البلاغيون العرب وكذلك علماء لغة النص كل هذه الأدوات وتلك الظواهر التي ينعقد عليها تماسك النص وانسجامه واتساقه في بنية كلية واحدة؟

ومن ثم، فلا غرْوَ أن تعتمد الدراسة المنهج المقارن في مقارنة جهود البلاغيين العرب بجهود علماء لغة النص، في إدراك: أدوات الربط اللفظي، وظواهر الترابط الدلالي، اللتين يتحقق بهما التماسك النصي أو البنية الكلية للنص.

وتأتي معالجة الدراسة لموضوعها من خلال دراسة ثلاثة مباحث رئيسية،تتفرع منها عدة مباحث فرعية، وذلك على النحو الآتي:

١ ـ التماسك النصي: مفهومه وأهميته وأنواعه

٢ ـ أدوات الربط اللفظي ودورها في التماسك النصي بين البلاغيين العرب وعلماء لغة النص

(٢ـ أ) أدوات الربط اللفظي ودورها في تماسك النص عند البلاغيين العرب

(٢ـ ب) أدوات الربط اللفظي ودورها في تماسك النص عند علماء لغة النص

٣ ـ ظواهر الترابط الدلالي ودورها في التماسك النصي بين البلاغيين العرب وعلماء لغة النص

(٣ـ أ) الترابط الدلالي: مفهومه وأهميته

(٣ـ ب) ظواهر الترابط الدلالي ودورها في تماسك النص عند البلاغيين العرب

(٣ـ ج) ظواهر الترابط الدلالي ودورها في تماسك النص عند علماء لغة النص

ويمكن تناول هذه المباحث على النحو الآتي:

١ـ التماسك النصي: مفهومه وأهميته وأنواعه

يمكن أن نُعَرِّف التماسك النصي بأنه: عملية الربط والترابط اللازمة لبناء النص وانسجامه في بنية دلالية كلية جامعة لمناط فائدته ومعقد خصائصه.

وهذا ما صَرّح به جون ليونز بقوله: "إنّ النص بكليته لابد ان ينطوي على مجموعة من الخصائص التي تؤدي إلى التماسك والانسجام."[١] ومن ثم يكون التماسك النصي متمثلا في وجود علاقة لفظية ومعنوية بين اجزاء النص أو جمله أو فقراته.[٢] ويكون نحو النص أو العلم الذي يحلل النص ويفسره مركزًا على "تحليل الخواص التي تؤدي إلى تماسك النص، وتعطي عرضًا لمكوناته التنظيمية النصية"[٣].

وتاتي اهمية التماسك النصي وترابط الجمل بعضها ببعض، وتجاورها في بنية واحدة للنص ؛ من كونها "المسئولة عن تكوين سياق نصي مُعَيّن يساعد على تفسير التراكيب داخل النص، وكل جملة في النص لا يمكن فهمها إلا من خلال ترابطها بأخواتها في النص"[٤]. اي ان التماسك النصي يمثل نظام اللغة في الربط والترابط الذي يفعله المتكلم لخلق بنية كلية تنتظم كلمات النص وجمله وفقراته، بروابط رصفية ملفوظة، كما تنتظم دلالاته وأفكاره وموضوعاته بروابط دلالية ملحوظة، بحيث يبدو النص في النهاية متماسكا في بنية كلية، على مستوى اللفظ والدلالة؛ الأمر الذي يجعل عملية تفسير النص وتحليله لا يمكن ان تنم بشكل علمي دقيق إلا من خلال تفسير كلماته وجمله في إطار ارتباطها بسياق النص وبنيته الكلية الحاكمة؛ لأن الجملة داخل النص ليست (جملة نظام) او جملة مجردة مستقلة على نحو ما يذكره التوليديون(٥)، وإنما هي (جملة نصية) تتسم بالتواصل مع جمل النص، وهي مُنْجَزَة فعلاً في مقام، ولها

---

[1] _ John Lyons, Linguistic Semamtics.p.262.

[٢] ـ انظر: دكتور احمد عفيفي، نحو النص، ٩٨.

[3] _ Halliday, and Ruqaya Hasan, Cohesion in English. P.4.

[٤] ـ دكتور محمد حماسة عبد اللطيف، منهج في التحليل النصي للقصيدة، ١٢٦، ١٢٧.

[5] -See: chomsky, Aspects of the Theory of Syntax, P.4. وانظر: جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية ، ترجمة دكتور حلمي خليل، ١٠٣- ١٠٤

مدلولها داخل سياق النص، ولا تُفهم إلا بإدماجها في سياق النص لتُعطي دلالتها من خلال الاتساق والانسجام[١].

ولقد أدرك المشتغلون بعلم نحو النص أهمية التماسك النصي في بناء النص، فجعلوه ضمن المعايير السبعة للنصية[٢]. كما أدركوا أهميته في تحليل النص وتفسيره، فجعلوا تحليل النص وتفسيره مرتبطًا بإدراك التماسك النصي له، وذلك عن طريق تحليل وسائل الربط والترابط التي يتأسس عليها التماسك النصي، حتى أصبح لزاما على الناقد أو محلل النص أن يدرك القضية المحورية للنص، وإن تعددت قضايا النص، فعلى الناقد أن يجتهد في استكشاف القضية المحورية أو المنطق الرابط بين هذه القضايا، ولا يكون ذلك للناقد إلا بتحليل التماسك النصي والبنية الكلية للنص[٣].

وهذا هو ما مارسه عمليا الدكتور سعد مصلوح، عندما أعاد النظر فيما تردد بين النقاد بأن القصائد الجاهلية تفتقد إلى الوحدة العضوية، فحلل قصيدة (بنت عجلان) للمرقّش الأصغر، في ضوء مفهوم نحو النص، فاستطاع أن يلمس مدى إحكام النسيج في التشكيل اللغوي للنص، ومدى الترابط بين ظاهر النص وعالَم النص؛ وذلك عن طريق تحليله للسبك النحوي وأدوات الربط اللفظي بين الجمل والفقرات، وكذلك تحليله للحبك الدلالي وظواهر الترابط الدلالي المفهومي الملحوظ بين أفكار النص وموضوعاته[٤].

---

[١] ـ انظر: دكتور محمد مفتاح، دينامية النص، ٣١.

[٢] ـ انظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة دكتور تمام حسان، ١٠٤، وانظر: دكتور صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ٣٣-٣٤.

[٣] ـ انظر: دكتور محمد مفتاح، دينامية النص، ٩٩.

[٤] ـ انظر: دكتور سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، ١٦٥.

ويتوزع التماسك النصي على نوعين رئيسيين: تماسك نحوي ملفوظ، وتماسك معنوي ملحوظ، على نحو ما ذكر علماء لغة النص، في التفرقة بين السبك النحوي Cohesion، والحبك الدلالي Coherence، ويمكن توضيح ذلك فيما يأتي:

أ. التماسك النحوي الملفوظ Cohesion:

يتحقق هذا النوع من التماسك فيما يُعوِّل عليه النص من أدوات ربط ظاهرة ووسائل رصف بارزة - في تحقيق السبك النحوي بين المفردات والجمل، بحيث تبدو مفردات النص وجمله وفقراته متماسكة في بنية لفظية، تتسم بما أسماه علماء لغة النص بخاصية الاستمرار اللفظي أو الربط الرصفي[1]؛ لما تقوم به هذه الأدوات الرابطة الملفوظة والبارزة في النص من ربط السابق فيه باللاحق، أي أن هذا النوع من التماسك يتصل بظاهر النص وبدلالته النحوية المباشرة.

ب. التماسك المعنوي الملحوظ Coherence:

يتصل هذا النوع من التماسك بالظواهر الدلالية في عالم النص؛ بحيث تعمل هذه الظواهر على جعل مفاهيم النص ودلالاته وأفكاره تتعالق وتترابط حول الفكرة العامة والمقصد الكلي للنص، الأمر الذي يَضْمَن للنص اصطلح عليه علماء لغة النص بالحبك أو الانسجام الدلالي Coherence الذي يعني عندهم الاستمرار الدلالي أو الترابط المفهومي[2].

أي أن هذا النوع من التماسك النصي يتصل بالعمق الدلالي للنص، وبظواهره الدلالية الملحوظة وليست الملفوظة، التي يترابط بها النص على المستوى المفهومي الضمني.

---

[1] - انظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ١٠٣.

[2] - انظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ١٠٣.

٢ ـ أدوات الربط اللفظي ودورها في التماسك النصي بين البلاغيين العرب وعلماء لغة النص

يَنْسَبِكُ النص على مستوى مفرداته وجمله وفقراته، في بنية لفظية متماسكة الفقرات، يشهد على ربطها ووصلها وانسباكها مجموعة من أدوات الوصل والربط الرصفي الملفوظة بين متواليات النص.

ولقد أدرك أهمية هذه الروابط اللفظية في بناء النص وفي تحقيق التماسك النصي له، كل من البلاغيين العرب وعلماء لغة النص، في تحليلهم للنص ومقاربتهم له؛ وإن اختلف كل فريق في تحديدهم أدوات هذا الربط، على نحو ما سنوضحه فيما يأتي.

(٢ ـ أ) أدوات الربط ودورها في تماسك النص عند البلاغيين العرب

عُنِي البلاغيون العرب بالربط بين المفردات والجمل، وذلك في مبحثهم عن [الفصل والوصل]، فذكروا أهمية هذا الوصل في بناء الجلة والنص، كما ذكروا أدوات هذا الوصل، متمثلةً عندهم في أدوات العطف، دون سائر أدوات الوصل.

ولكنْ، إذا كان البلاغيون قد صبوا عنايتهم في مبحثهم عن (الفصل والوصل) على الوصل بحروف العطف؛ إلا أن عنايتهم بهذا المبحث في البلاغة تفوق عنايتهم بأي مبحث آخر ،حيث إنهم جعلوا من الربط بين مفردات النص وجمله أساساً لتحقيق بلاغة الكلام، فجعلوا من تعريفات البلاغة :" معرفة الفصل من الوصل"(١)، اي معرفة متى يجب الوصل ومتىْ يجب الفصل بين مفردات النص وجمله؟ وفي ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني في باب (الفصل والوصل): "اعلم أن العلمَ بما ينبغي أن يُصنَعَ في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورةً، تستأنف واحدة منها بعد الأخرى، من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى

---

١ ــ ابو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، ٤٥٨

لتمام الصواب فيه إلا الأعرابُ الخُلّصُ، وإلا قومٌ طُبِعوا على البلاغة ، وأوتُوا فنًا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد، وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك، أنهم جعلوه حدًا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سُئل عنها فقال:"معرفة الفصل من الوصل" ذاك لغموضه ودقة مسلكه، وأنه لا يَكْمُلُ لإحراز الفضيلة فيه أحدٌ، إلا كمَل لسائر معاني البلاغة."(١)

فمع إدراك البلاغيين العرب لأهمية باب (الفصل والوصل) في تحقيق جودة الكلام وبلاغته، إلا أنهم قصروا تركيزهم على أدوات الوصل أو الربط في هذا الباب على (أدوات العطف)، على نحو ما ذكر عبد القاهر في باب الفصل والوصل، قال:"واعلم أن سبيلَنا (يقصد في هذا الباب)، أن ننظر إلى فائدة العطف في المفرد، ثم نعود إلى الجملة فننظر فيها ونتعرف حالها."(٢)، ولم يختلف البلاغيون بعد عبد القاهر عما ذهب إليه في هذا الباب ، من أن دراسة الفصل والوصل بين المفردات والجمل في النص تنحصر في دراسة الفصل والوصل بأدوات العطف، لدرجة أنهم عرفوا الفصل والوصل بقولهم:" الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه."(٣)

والغريب أن بعض البلاغيين العرب قد أدرك دور بعض أدوات الربط الأخرى (غير أدوات العطف) في الوصل والربط بين الجمل، رغم أنه أغفلها في مبحثه عن (الفصل والوصل) ، على نحو ما نجده عند عبد القاهر الجرجاني في حديثه عن (إنّ) ودورها في ربط الكلام بعضه ببعض، وأن الكلام بها لا يستوي في المعنى مع الكلام بإسقاطها ، إذ

---

١ ــ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ٢٢٢

٢ ــ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ٢٢٢

٣ ــ القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ١٥١، وانظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ٣٥٧، وانظر: شهاب الدين الحلبي، حسن التوسل إلى صناعة الترسل١٥٨، وانظر: كمال الدين البحراني، أصول البلاغة، ١٠٣

يقول:" وفي (إنّ) هذه شيءٌ آخرُ يُوجِبُ الحاجةَ إليها، وهو أنها تتولى من ربط الجملة بما قبلها."(١)

وقد أخذ الشيخ عبد القاهر الجرجاني يعدد الأمثلة والشواهد على اهمية (إنّ) في الربط بين الجملتين، ويرد بذلك على الكندي المتفلسف الذي ذهب إلى ابي العباس مدعيًا ان في كلام العرب حشوًا، مثل التشابه الموجود في قولهم: عبد الله قائم ، وإن عبد الله قائم ، وإن عبد الله لقائم ؛ مع ان ثم فرقًا بين هذه الأقوال: فالأول للإخبار ، والثاني إجابة عن سؤال، والثالث جواب عن إنكار منكر ، ثم عقّبَ عبد القاهر قائلا:" والعلم أن هاهنا دقائق لو ان الكندي استقرى وتصفّحَ وتتبّعَ مواقعَ (إنّ)، ثم الْطفَ النظرَ وأكثرَ التدبر، لعلِمَ عِلْمَ ضرورةٍ، انْ ليس سواءً دخولُها وانْ لا تدخل . فأول ذلك وأعجبه ما قدمتُ لك ذكرَهُ في بيت بشار:

بَكِّرا صاحبَيَّ قبلَ الهجيرِ ... إنّ ذاكَ النجاحَ في التبكيرِ

وما انشدتُه معه من قول بعض العرب:

فَغَنّهـا وهْيَ لك الفـداءُ ... إنّ غِنـاءَ الإبـلِ الحُـداءُ

وذلك انه هل شيءٌ ابيَنُ في الفائدة، وأدَلُّ على انْ ليس سواءً دخولُها وانْ لا تدخل، انّك ترى الجملة إذا هي دخلت، ترتبط بما قبلها وتأتلف معه وتتحد به، حتى كانّ الكلامَين قد أُفرِغا إفراغًا واحدًا، وكانّ احدَهما قد سُبِكَ في الآخر؟ هذه هي الصورة،حتى إذا جئتَ إلى (إنّ) فاسقَطتها، رأيتَ الثاني منهما قد نبا عن الأول، وتجافى معناه عن معناه، ورأيتَه لا يتصل به ولا يكون منه بسبيل."(٢)

بل ذكر البلاغيون العرب بعض أدوات التماسك النصي على مستوى اللفظ ، في أبواب بلاغية أخرى غير باب الفصل والوصل، أي أنهم ذكروا

---

١ ــ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ٣١٩

٢ ــ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ٣١٥ ، ٣١٦

هذه الأدوات لا يغرض بيان دورها في التماسك النصي، بل لبيان أغراض بلاغية أخرى ، مثل ما نجده في ذكرهم (التكرار اللفظي)، وبيانهم موطن بلاغته في حالة كونه يُذكر لبيان التشويق أو التعذيب، وذلك في باب المدح والتأبين والغزل أو النسيب(١)، وهذا عين ما عناه علماء لغة النص المحدثون بـ (التكرار أو إعادة اللفظ Recurrence).(٢) وما ذكره البلاغيون مثالاً على التكرار قول الخنساء في رثاء أخيها صخر:(البسيط)

وإنَّ صَخْراً لموْلانا وسيدنا ... وإنَّ صَخْراً إذا نشتو لنَحّارُ

وإنَّ صخْراً لتأتَمُّ الهداةُ به ... كأنه علَمٌ في رأسه نارُ(٣)

ومن أدوات الربط اللفظي التي أدركها البلاغيون العرب ــ ولكن في غير باب الفصل والوصل ــ ما أدركه عبد القاهر الجرجاني من أهمية أدوات الشرط في ربط جملتين بعضهما ببعض، حتى تبدوا كالجملة الواحدة ، قال: "اعلمْ أنَّ مما هو أصلٌ في أن يَدِقَّ النظرُ ويلطُفَ المسلكُ في توخّي المعاني التي عرفتَ أنْ تتحدَ أجزاءُ الكلامِ ويدْخُلَ بعضُها في بعضٍ ويشتدَّ ارتباطُ ثانٍ منها بأوَّلَ وأن يحتاجَ في الجملةِ إلى أن تضَعَها في النفس وَضْعاً واحداً وأن يكونَ حالُكَ فيها حالَ الباني يضعُ بيمينِهِ هاهُنا في حالِ ما يضعُ بيسارِهِ هناك . نَعم وفي حالِ ما يُبْصِرُ مكانَ ثالثٍ ورابعٍ يضعُها بعدَ الأَولين . وليس لِما شأنُه أن يجيءَ على هذا الوصفِ حدٌّ يحصرهُ وقانونٌ يحيطُ به فإنه يجيءُ على وجوهٍ شتّى وأنحاءَ مختلفةٍ. فمن ذلك أن تزاوَجَ بينَ معنيينِ في الشرطِ والجزاءِ معاً كقولِ البُحتري (الطويل):

إذا ما نَهى النّاهي فَلجَّ بيَ الهوى ... أصاخَتْ إلى الوَاشي فلجَّ بها الهَجْرُ

---

١ ــ انظر: ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ٢/ ٧٣- ٧٤

٢ ــ انظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ١١٩

٣ ــ انظر: ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ٢/ ٧٤

وقوله (الطويل):

إذا احْتَرَبَتْ يَوْمًا ففاضتْ دِماؤُها ... تذكّرَتِ القُربى ففاضَتْ دُمُوعُها

وإذا قد عرفتَ هذا النّمطَ منَ الكلام وهو ما تَتّحدُ أجزاؤه حتى يُوضَعَ وَضْعاً واحداً فاعلمْ انه النمطُ العالي والبابُ الأعظمُ، لا تَرى سلطانَ المزيّة يعظُمُ في شيءٍ كعِظَمِهِ فيه."(١)

ومن أدوات الربط اللفظي التي أدركها البلاغيون العرب ــ ولكن في غير باب الفصل والوصل ــ ما أدركه عبد القاهر الجرجاني من أهمية الربط باسم الإشارة وال التعريف وهذا ما ألمح إليه في تعليقه على قول الشاعر ابن البواب:(مجزوء الوافر)

وإنْ قتلَ الهوى رَجُلا ..... فإنيَ ذلك الرجُلُ

قال عبد القاهر: "انظر إلى الإشارة والتعريف في قوله:(فإني ذلك الرجل."(٢)، فهو يُلمح إلى دور كل من اسم الإشارة ولام التعريف في الإحالة وربط الكلام بعضه ببعض.

ومن الروابط اللفظية التي أدركها البلاغيون في غير باب الفصل والوصل (الذكر والإظهار)، حيث قال عبد القاهر : " إن للتصريح عملاً لا يكون مثل العمل للكناية (يقصد الإظهار والإضمار) فلإعادة اللفظ في مثل قوله تعالى : (وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ) الإسراء: ١٠٥ وقوله تعالى : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ) الإخلاص: ١ - ٢ – من الحسن والبهجة ، ومن الفخامة والنبل ، مالا يخفى موضعه على بصير ، وكان لو

١ ــ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ٩٣- ٩٥
٢ ـ انظر:عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،٩١

ترك فيه الإظهار إلى الإضمار ، فقيل : وبالحق انزلناه وبه نزل ، وقل هو الله احد هو الصمد ، لعَدِمْتَ الذي انت واجده الآن."(١)

ولقد استحسن البلاغيون (ظاهرة الإظهار بعد الإضمار) التي وجدناها عندهم تحت ما اسموه: بباب (في عطف المظهر على ضميره والإفصاح به بعده) ، إذ ذكر بعضهم في استحسانه هذه الظاهرة، قال : " وهذا إنما يعتمد إليه لفائدة ، وهى تعظيم شأن الأمر الذي اظهر عنه الاسم المضمر اولاً ... ومما جاء من ذلك قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) العنكبوت: ١٩ - ٢٠ ، الا ترى كيف صرح باسمه في قوله: (ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ)، والقياس ان القول : ثم ينشئ النشاة الآخرة، للدلالة والتنبيه على عظم هذا الأمر ، الذي هو الإعادة ، ابرز اسمه تعالى واوقعه مبتدا ثانيًا"(٢)

ولعل في إظهار الضمير ما لا يخفى من لفت انتباه القارئ او السامع؛ بالعودة به إلى الاسم الظاهر السابق ذكره في النص ؛ لأن بهذا الذكر والإظهار يُعَدُّ نوعًا من الإحالة الداخلية السابقة ، كما يُعَدُّ نوعًا من الاستبدال ، حيث أُستُبْدِلَ الاسم الظاهر بالضمير، وكل من الإحالة والاستبدال نوع من التماسك النصي، على نحو ما ذهب إلى ذلك علماء لغة النص المحدثون ، وستوضحه الدراسة في المبحث القادم

ومن الروابط اللفظية التي ادركها البلاغيون العرب في غير باب (الفصل والوصل) ما اسموه برابط او بظاهرة (التفسير بعد الإبهام) ، وقد استحسنها البلاغيون، على نحو ما ذكر ابن الأثير ، قال: " اعلم ان هذا النوع لا يُعمَد إلى استعماله إلا لضرب من المبالغة . فإذا جيء به في كلام ، فإنما يفعل ذلك لتفخيم امر المبهم وإعظامه ، لأنه هو الذي

---

١ عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ١٧٠ .

٢- ابن الأثير ، المثل السائر ، ٢/٢٢ .

يطرق السمع أولاً ، فيذهب السامع كل مذهب ، كقوله تعالى : (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ) الحجر: ٦٦ ، ففسر ذلك الأمر بقوله : دابر هؤلاء مقطوع مصبحين .

وفي إبهامه أولاً وتفسيره بعد ذلك تفخيم للأمر وتعظيم لشانه، فإنه لو قال : وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ، لما كان بهذه المكانة من الفخامة . فإن الإبهام أولاً يوقع السامع في حيرة وتفكر واستعظام لما قرع سمعه ، وتشوقٌ إلى معرفته والاطلاع على كنهه."(١)

ثم ذكر ابن الأثير امثلة كثيرة على هذا الأسلوب ، من مثل قوله تعالى : (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) سبا: ٤٦ وقوله تعالى : (إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) طه: ٣٨ - ٣٩ ، وقوله تعالى : (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ {٤٠/ ٣٦} أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ) غافر: ٣٦ - ٣٧ ولعل المعنى البلاغي المشترك في كل هذه الآيات هو تفخيم الأمر المبهم وتعظيمه في نفس السامع ومحاولة تشويقه إلى معرفته والاطلاع على كنهه.(٢)

وأضاف ابن الأثير في هذا الباب أن من بلاغة العربية في كلامها أنها قد تأتي (بإبهام الأمر دون تفسيره) ؛ لتذهب النفس فيه كل مذهب ، من مثل قوله تعالى : (فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ) طه : ٧٨، وقوله تعالى : (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى) النجم: ٥٣ - ٥٤ ، وقوله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ

١- الظر: ابن الأثير ، المثل السائر ، ٢/٢٤ .
٢- الظر: ابن الأثير ، المثل السائر ، ٢/٢٤ – ٢٥ .

الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) العنكبوت: ١٤ ، عَمَّمَ بلفظ رأس العدد الذي هو منتهى العقود ، ثم استثنى ، ليُعْظِمَ من طول المدة التي قضاها معهم داعيًا.(١)

ولعلَّ في التفسير بعد الإبهام إحالةً داخلية للكلام وربطًا لبعضه ببعض، كما ان في الإبهام دون تفسير إحالةً خارجية تذهب النفس في تصورها كل مذهب.

بيدَ انه غيرُ منكَرٍ انْ يُؤخذ على البلاغيين العرب في مبحثهم الذي عقدوه لأدوات الوصل وظواهره، واسموه بمبحث (الفصل والوصل) انهم قَصَرُوا هذا الباب على أدوات العطف دون سائر الأدوات الأخرى؛ لأن ادوات الوصل والربط بين مفردات النص وجمله ، تتجاوز ادوات العطف إلى ادوات أخرى كثيرة ،على نحو ما ذكر بعض النحاة العرب مثل ابن هشام الأنصاري والسيوطي في مبحثهما عن (ادوات الربط)، ان من ادوات الربط بين الجمل: الربط بواو العطف ، وواو الحال ، والضمير ، والإشارة، والموصول، ونفس وعين وبعض وكل وجميع، والربط بحرف الجر، وهاء الغيبة في النداء بـ (يا ايها)، وادوات الاستثناء، وادوات الشرط، وغير ذلك من ادوات.(٢)

ومن ثم يتبين لنا أن البلاغيين العرب أقاموا مبحثهم حول الوصل والربط بين الجمل ومعانيها – على الروابط الحرفية ، دون الروابط النحوية والمعنوية ، بل قصروا هذه الروابط الحرفية على حروف العطف، دون حروف الوصل الأخرى مثل: واو الحال، وادوات الاستثناء ، واسماء الموصول، وغير ذلك، ثم قصروا البحث على العطف بحرف الواو ، بحجة أن الواو تفيد مطلق الجمع ، بخلاف حروف العطف الأخرى مثل:

---

١ ـ انظر: ابن الأثير ، المثل السائر ، ٢/٢٦ ، ٢٨ .

٢ ـ انظر: ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ٢/٥٥٦، وانظر: السيوطي، الأشباه والنظائر ،١/٢٠٠، وانظر: السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ١/٩٧- ٩٨

ثم والفاء وأو، التي تفيد معاني محددة ، ثم اختزلوا مبحث الوصل بالواو على وصل الجمل التي لا محل لها من الإعراب .

وهذا ما حدا بالدكتور عبد الواحد علام أن يأخذ على البلاغيين العرب انهم قصروا مبحث الفصل والوصل على حدود وأطر وجمل ومصطلحات معينة ، ولم يبحثوا الباب بحثًا متعمقًا في المعنى، أو شاملاً لكل مظاهر الفصل والوصل في العربية(١) . ولو نظروا في فهمهم للكلام وحكمهم على مفرداته وجمله بالفصل أو بالوصل – إلى اكتمال المعنى أو عدم اكتماله ، وليس إلى اشتماله على حرف العطف أو عدم اشتماله – لكان افضل ، على نحو ما فعل علماء القراءات(٢)، وبعض المفسرين.(٣) فقد يكون الوصل بحرف العطف وقد يكون بتركه ، وقد يكون الفصل بترك حرف العطف وقد يكون بوجوده .

فقد أوجب علماء القراءات الفصل أو الوقف مع وجود الواو ، كما في قوله تعالى : (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) الأنعام : ٣٦ ، حيث أوجبوا الوقف علي قوله (يَسْمَعُونَ) ثم استئناف الكلام بقوله (وَالْمَوْتَى) . كما ان ثمة من الوقوف ما يتأكد استحبابه لبيان المعنى المقصود، على نحو ما يقول ابن الجزري : (ما لو وُصِلَ طرفاه لأوهم معنى غير المراد) ومن ذلك الوقف على قوله تعالى: (فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُم) والابتداء (إِنَّا نَعْلَمُ ما يُسِرُّون وما يُعْلِنُونَ) يس ٧٦؛ لئلا يوهم أن ذلك من قولهم."(٤)

ومما يؤكد صحة ما أُخذ على البلاغيين العرب من تهميشهم لمبحث الفصل والوصل عندما ربطوه بعطف الجمل (التي لا محل لها من

---

١ – انظر: دكتور عبد الواحد علام ، القاعدة والنص : دراسة في الفصل والوصل، ١٩ وما بعدها .

٢ – انظر: ابن الجزري ، طيبة النشر في القراءات العشر،١/ ٢٣٢ .

٣ – انظر: الزمخشري ، الكشاف ، ١ / ٥٧٥ ، ٤٩/٣ ، ٥٠ ، ٦٥ ، ٧١ ، ٩٥ ، ٥٣/٤.

٤– ابن الجزري ، طيبة النشر في القراءات العشر ، ١ / ٢٣٢ .

الإعراب) بالواو أو ترك العطف بها – أن المفسرين الذين التزموا بقواعد البلاغيين في الفصل والوصل وقفوا مكتوفي الأيدي غير قادرين على تفسير كثير من آيات القرآن الكريم وفق هذه القواعد ، نظراً لما تتسم به هذه القواعد في الفصل والوصل من قصور في فهم الفصل والوصل بين معاني المفردات والجمل في العربية.

ومثال ذلك آيات سورة الغاشية ، حيث تتوالى ست عشرة آية في أول السورة تَعَدُّدُ صور العذاب التي أعدها الله للكافرين ، وصور النعيم التي اعدها الله للمؤمنين ؛ دون أن تُفْصَلُ هذه الآيات بواو عطف واحدة، رغم أنها تتكلم عن حالتين متناقضتين، وبين كل هذه الصور علاقة جامعة ، على نحو ما يقتضيه العطف بالواو وفق قواعد البلاغيين في الفصل والوصل.

وهذا ما جعل الكرماني يُعَلِّقُ على مجيء قوله تعالى : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ) الغاشية : ٨ بعد قوله: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ) الغاشية:٢ دون عطف – بقوله : " وكان القياس أن يكون الثاني بالواو، للعطف ، لكنه جاء على وفاق الجمل قبلها وبعدها وليس معهن واو عطف البتة."(١)

والحق أن هذه الآيات وغيرها كثير في القرآن الكريم ، مما لا يمكن تفسيرها بقواعد البلاغيين في الوصل بواو العطف أو الفصل بتركها ؛ لأن فهم الفصل والوصل بين المعاني لا يمكن حصره في العطف بالواو أو عدمه ، وإنما يكون في إطار تمام المعنى أو عدم تمامه . فالوصل بين المعنيين قد يكون بوجود الواو العاطفة أو غيرها من أدوات الوصل الظاهرة ، وذلك عندما تكون بين المعنيين مغايرة ومناسبة أو جهة جامعة في آن واحد. وقد يكون الوصل بين المعنيين بترك حرف العطف أو حرف الوصل بينهما ، وذلك عندما يكون ثمة اتحاد بين المعنيين ، سواء على سبيل البدل أو الصفة أو التأكيد. وكل هذه روابط نحوية

---

١ – الكرماني ، أسرار التكرار في القرآن، ٢٠٥ .

ودلالية تترابط بها المعاني داخل النص ، مثلما تترابط بحروف العطف او غيرها من حروف الوصل.

ويُعد باب ترتيب المعطوفات في القرآن الكريم _ الذي اهمله البلاغيون بحجة ان الواو في بعض الآراء أو في بعض استعمالاتها لا تفيد الترتيب ولا تفيد إلا مطلق الجمع _ من الأبواب التي ابرز فيها المفسرون اغراضًا بلاغية ولطائف معنوية وروائع جمالية ، وجدوها كامنة وراء واو العطف في إفادتها ترتيب المعطوفات، وهم بهذا النهج قد وافقوا معنى واو العطف في اصل استعمالها اللغوي، وفي راي جمهرة غير قليلة من نحاة العرب الذين راوا ان استعمال الواو فيما لا ترتيب فيه مجاز، وهي في اصل الوضع للترتيب ، على نحو ما اورد السيوطي في الهمع(١) عن الرضي وابن مالك . وهو يوافق في ذلك ما نقله ابن هشام في المغني (٢)عن قطرب والربعي والفراء وثعلب وأبي عمر الزاهد وهشام والشافعي – ردًا على ما يراه بعض النحويين مثل سيبويه (٣): ان الواو لمطلق الجمع .

ويمكننا الوقوف على كثير من اللطائف المعنوية والأغراض البلاغية التي ادركها بعض المفسرين مثل الزمخشري – لواو العطف في ترتيبها للمعطوفات في كثير من آيات القرآن الكريم – فإنه على سبيل المثال – يرى انه ثمة غرضًا بلاغيًا ومعنى خاصًا وراء كل ترتيب للمعطوفات تورده آيات القرآن الكريم، مثل قوله تعالى : (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) النور ٢ حيث قدم (الزانية) هنا على (الزاني) لأن السياق هنا سياق تقرير العقوبة ، والزانية اولى بالتقديم هنا لأن المراة على حد تعبير

١ – انظر : السيوطي ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، ٥/٢٢٤-٢٢٥.
٢ – انظر : ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ١/٤٦٣ – ٤٦٤ .
٣ – انظر : سيبويه ، الكتاب ، ١ / ٤٣٧ – ٤٣٨ .

الزمخشري هي المادة التي منها نشأت الجناية . وفي نفس السورة قدمت الآيات (الزاني) على (الزانية) ، في قوله تعالى: (الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) النور ٣ ؛ وذلك لأن السياق هنا سياق النكاح، والرجل أصل فيه لأنه هو – كما ذكر الزمخشري – الراغب والخاطب ومنه يبدأ الطلب.(١)

وهذا ما استدركه علماء لغة النص في حديثهم عن السبك اللفظي وأدوات الرصف النحوي الظاهرة Cohesion، التي يتحقق بها تماسك النص على مستوى اللفظ ، على نحو ما ستوضحه الدراسة في مبحثها التالي.

(٢ . ب) أدوات الربط اللفظي ودورها في تماسك النص عند علماء لغة النص

عُرِف الربط Cohesion عند علماء لغة النص بوصفه أحد المعايير السبعة للنصية، ويُقصد به عند روبرت دي بوجراند التضامّ اللفظي الذي "يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع، يؤدي السابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي"(٢). كما أكد هاليداي ورقية حسن على أهمية هذه الروابط والعلاقات في تحقيق النص، بحيث لا يمكن لأي مجموعة جمل أن تشكل نصًا بغير أن تترابط بهذه الروابط، "فكل متوالية من الجمل تشكل نصًا، شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو على الأصح بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات، وتتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة"(٣).

---

١ - انظر: الزمخشري ، الكشاف ، ٣ / ٤٩ – ٥٠ ، وانظر له كذلك مثل هذه المعاني البلاغية التي أدركها في ترتيب المعطوفات في مواضع أخري من تفسيره : ١/٥٧٥ ، ٢/٦٥ ، ٧١ ، ٩٥ ، ٣٠٩ ، ٤ / ٥٣ .

٢ - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ١٠٣.

3 - Halliday, and Ruqay Hasan, Cohesion in English, p.6.

فلكي تكون لأي نص صفة النصية ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية، بحيث تسهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة[١]. فإذا كان ظاهر النص يتكون من مجموعة الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، أو نخطها أو نراها؛ فإن هذه الأحداث أو المكونات لا يمكن أن تشكل نصاً، إلا إذا تحقق لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظاً بكينونته واستمراريته[٢]. "فالنصوص في الأساس يمكن تحديدها بأنها تكوين بسيط من الجمل تنشأ بينها علاقات تماسك"[٣].

ومن ثم فقد عُرِف مصطلح (الربط) عند المحدثين موازيا لمصطلح (الوصل) أو (العطف) عند البلاغيين العرب، حيث عرّفَ إياه الدكتور مصطفى حميدة بأنه: "اصطناع علاقة نحوية سياقية بين معنيين باستعمال واسطة، تتمثل في أداة رابطة تدل على تلك العلاقة، أو ضمير بارز عائد. وتلجأ العربية للربط إما لأمن اللبس في فهم الانفصال بين المعنيين، وإما لأمن اللبس في فَهم الارتباط بين المعنيين. فالربط هو الحلقة الوسطى بين الارتباط والانفصال"[٤]. وهذا هو عين ما عناه عبد القاهر الجرجاني من الوصل في دلائل الإعجاز بقوله:"فتركُ العطفِ يكون إمّا للاتصال إلى الغاية أو الانفصال إلى الغاية، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين، وكان له حالٌ بين الحالين" [٥].

وبذلك تتجلى أهمية الربط والوصل بين جمل النص، فبه يتحقق تماسك النص واستمراريته اللفظية، وبه يتحقق أمن اللبس من فهم كمال الانفصال أو كمال الاتصال بين المعنيين؛ لأن أداة الربط بين المعنيين تعني مرحلة وسطى بين وصل المعنيين وفصلهما، أي أنها تعني

---

١ ـ انظر: دكتور محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص، ٣٠٠.
٢ ـ انظر: دكتور سعد مصلوح، نحو اجرومية للنص الشعري، ١٥٤.
٣ ـ فولفجانج هاينه وديتر فيهفجر، مدخل إلى علم النص، ترجمة سعيد بحيري، ٢١٠.
٤ ـ دكتور مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ١.
٥ ـ انظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،٢٤٣.

اتحاد المعنيين وإشراكهما في جهة، ومغايرتهما والتمييز بينهما في جهة أخرى. فالوصل أو الربط يعني الاشتراك والمغايرة في آن واحد.

ولقد عَدّد علماء لغة النص المحدثون أدوات الربط اللفظي والتماسك النحوي، التي تترابط بها المفردات والجمل داخل النص. غير أن بعض العلماء ركز على ذكر أدوات الربط على مستوى الجملة الواحدة بمستوياتها المختلفة البسيطة أو المعقدة أو الممتدة، على نحو ما أجمل الدكتور مصطفى حميدة من أدوات الربط في: أدوات العطف، وواو الحال، وواو المفعول معه، وأدوات نصب المضارع، والحروف المصدرية (ما أنْ أنّ كي لو)، وأدوات الشرط، وفاء جواب الشرط، وأدوات الاستثناء، وحروف الجر أو الإضافة، والربط بالضمير الذي يُربط به جملة الخبر، وجملة النعت، وجملة الحال، وجملة الصلة، وجملة الاشتغال، والتأكيد المعنوي، والربط باسم الإشارة، وأل النائبة عن الضمير[1].

غير أن بعض علماء لغة النص مثل روبرت دي بوجراند وهاليداي ورقية حسن ذكروا أدوات الربط اللفظي سواء على مستوى الجملة أو على مستوى الجمل والفقرات داخل النص أو خارج النص واللغة، ومن هذه الأدوات ما يأتي:

(٢.ب.١) الإحالة Reference:

ويقصد به إحالة اللفظ إلى محال إليه داخل النص أو خارج النص واللغة، ولذا فهي تنقسم على قسمين:

إحالة داخلية وذلك عندما يُحيل اللفظ إلى محال إليه داخل النص، سواء أكان قبل اللفظ المحيل، فتكون (إحالة قبلية)، أم كان المحال إليه

[1] - انظر: دكتور مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ١٩٠-٢٠٢.

بعد اللفظ المحيل، فتكون (إحالة بعدية)، وذلك كما يتضح في الرسم الآتي[1]:

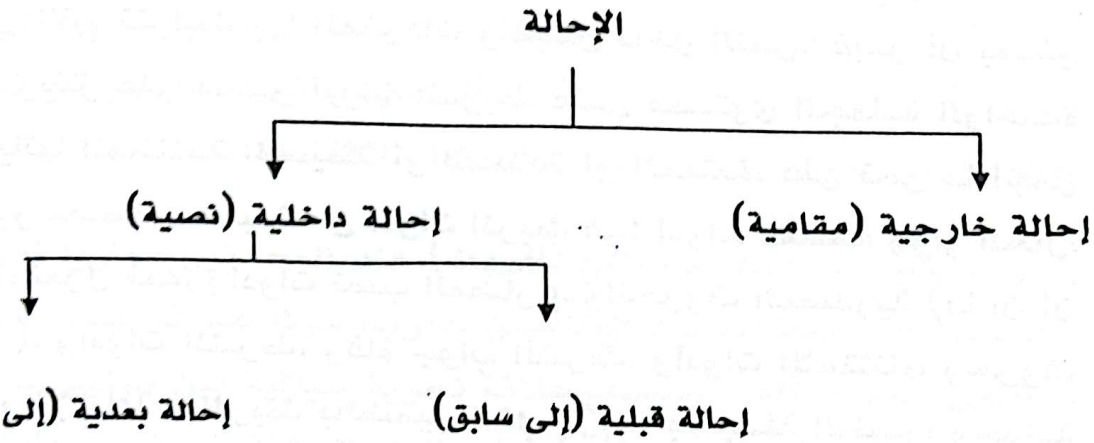

كما ذكر الباحثان هاليداي ورقية حسن أن الألفاظ المحيلة تشمل: [أسماء الذوات، والضمائر، وأسماء الإشارة، وأسماء الموصول، وألفاظ المقارنة أو التقارن]. وأن الإحالة الداخلية تساعد في اتساق النص بشكل مباشر، بينما الإحالة الخارجية المقامية تُسهم في خلق النص؛ لكونها تربط اللغة بسياق المقام[2]. وذلك على أن المقصود بالضمائر: الضمائر الوجودية مثل: [أنا، أنت، نحن، هو، هم ...] وضمائر الملكية مثل: [كتابي وكتابك وكتابه]، وأن هذه الضمائر قد تُحيل إحالة خارجية مثل الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب، إلا في حالة الكلام المستشهد به أو في الخطاب السردي، وقد تحيل الضمائر إحالة داخلية، مثل ضمائر الغيبة: [إفرادًا وتثنية وجمعًا].

ومن وسائل الإحالة [أسماء الإشارة] التي تشمل: ظروف الزمان وظروف المكان، وأسماء الإشارة للقريب أو للبعيد. فضلا عن ألفاظ المقارنة أو التقارن التي تُعد نوعًا من الإحالة، سواء تدل على التطابق مثل

---

[1] - Halliday, and Ruqaya Hasan, Cohesion in English, pp. 33.

[2] - Halliday, and Ruqaya Hasan. Cohesion in English, p 37.

كلمة (نفسه)، أو التشابه مثل كلمة [شبيهه] أو الاختلاف مثل كلمة [غيره وسواه وخلافه وعكسه]. فكلها ألفاظ تفيد المقارنة بين شيئين في النص، ومن ثم تفيد إحالة لفظ إلى لفظ آخر[١].

ويضيف جون ليونز إحالة الأسماء إلى مسمياتها، إذ يقول عن الإحالة: "إنها العلاقة بين الأسماء والمسميات"[٢]. وأضاف الأزهر الزناد أن الألفاظ المحيلة هي الألفاظ التي لا تملك دلالة مستقلة، بل تُحيل في دلالتها إلى عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في النص"[٣]. وأضاف براون ويول أن المتكلم هو الفاعل الأول في الإحالة، فهو الذي يُحيل بتعبيراته حسبما يريد، وعلى المخاطَب أو المتلقي أن يدرك تلك الإحالة حسب النص أو المقام"[٤].

(٢.ب.٢) الاستبدال Substitution:

ويُعنى به تعويض عنصر في النص بعنصر آخر[٥]. وهو بذلك يتشابه مع الإحالة الداخلية القبلية، ويكون بديلا عن تكرار العنصر في النص، فبدلا من تكرار العنصر اللغوي في النص، يُعوض عنه بعنصر آخر يكون دالاً ومحيلا إلى العنصر الأول؛ ولذلك يُعد الاستبدال أداة من أدوات التماسك النصي.

ومثال ذلك ما أورده الباحثان هاليداي ورقية حسن في كتابيهما عن السبك النحوي:

My axe is too blunt, I must get a sharper one.

---

[١] - انظر تفصيل ذلك: دكتور محمد خطابي، لسانيات النص، ١٦-١٩.

[٢] - انظر: بروان ويول، تحليل الخطاب، ترجمة دكتور محمد الزليطني ودكتور منير التربكي، ١٧.

[٣] - انظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ١١٨.

[٤] - انظر: بروان ويول، تحليل الخطاب، ٣٦.

[5] - Halliday, and Ruqaya Hasan, Cohesion in English, p.88.

فاسي مثلومة جدا، يجب أن اقتني أخرى حادة[1]. حيث استبدل كلمة (أخرى) بكلمة (فاسي).

ومثال ذلك أيضا ما أورده الدكتور أحمد عفيفي في كتابه نحو النص، ذكر قوله تعالى: {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ} [آل عمران ١٣]، حيث استبدل القرآن لفظ (أخرى) بلفظ (فئة)، وهو من الربط الرصفي اللفظي[2].

(٢.ب.٣) الربط أو الوصل بالأداة Junction

يُعنى به ربط العناصر اللغوية للنص بالأداة المناسبة لكي تُدرك كوحدة واحدة، أو هو: "تحديد الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم"[3]. أو "هو الترابط الموضعي الشرطي للنص[4]. وتتعدد طرق الربط وأدواته، فكان هناك الربط الإضافي مثل: الربط بالواو العاطفة، والربط العكسي مثل الربط بالأداة (ولكنْ، ومع ذلك)، والربط السببي مثل الربط بالأداة (لأنّ، لذلك)، والربط الزمني مثل الربط بالأداة (الفاء، وثم).

(٢.ب.٤) التكرار اللفظي [إعادة اللفظ] Recurrence:

يُعد التكرار ضربًا من ضروب الإحالة الداخلية، حيث يُعنى به تكرار حرف أو كلمة أو جملة أو فقرة في النص بقصد التأكيد[5]، فيكون

---

[1] - Halliday, and Ruqaya Hasan, Cohesion in English, 88.

[2] - انظر: دكتور أحمد عفيفي، نحو النص، ١٢٣.

[3] - Halliday, and Ruqaya Hasan. Cohesion in English, p. 227.

[4] - دكتور صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ٢٦٢.

[5] - انظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ١١٩، وانظر: دكتور أحمد عفيفي، نحو النص، ١٠٦.

اللفظ الثاني تكراراً للأول ومُحيلا إليه، ومن ثم فهو وجه من وجوه التماسك النصي.

ويشترط الدكتور صبحي إبراهيم الفقي للتكرار البليغ:" ان يساعدنا رصدُهُ على فك شفرة النص وإدراك كيفية ادائه لدلالته."(١). ولا شك يؤدي التكرار ــ إضافة إلى وظائفه الدلالية البلاغية ــ إلى تحقيق التماسك النصي، وذلك عن طريق امتداد عنصر ما، من بداية النص حتى آخره. هذا العنصر قد يكون كلمة أو عبارة أو جملة أو فقرة، وهذا الامتداد يربط، مع عوامل أخرى للتماسك النصي ــ بين عناصر النص.(٢)

ومن شواهد التكرار التي ذكرها علماء لغة النص، ما ذكره دكتور محمد خطابي،مثالًا على التكرار المعجمي:

(١) هناك ولد يتسلق تلك الشجرة

أ ـ سيقع الولد أرضًا إنْ لم ينتبه

ب ـ الأولاد يضعون أنفسهم دائمًا في مواقف حرجة

ج ـ وهناك ولد آخر واقف تحت الشجرة

د ـ معظم الأولاد يحبون تسلق الأشجار

وهكذا، فإن علاقة (ا) بـ (١) تطابقية، و (ب) احتوائية، و(ج) حصرية، و(د) انفصالية.(٣)

---

١ ــ دكتور صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ٢/ ٢٨

٢ ــ انظر : دكتور عماد بوخاري، مظاهر السبك والحبك في نماذج من مقالات سجع الكهان ، ٦

٣ ـ انظر : دكتور محمد خطابي، لسانيات النص، ٢٣٧

ومن شواهد التكرار في العربية، تكرار قوله تعالى:{فَبِأَيِ آلاءِ رَبِّكُما تكذبان}، مرات عديدة في سورة الرحمن، وذلك بعد ذكر كل منة او نعمة من الله؛ ليؤكد على تعدد نعم الله وتكرارها ، بما لا يجوز معه إلا الإقرار وعدم الإنكار.

ومن شواهد التكرار كذلك قوله تعالى: { فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} البقرة ٥٩، حيث كرر لفظ (الذين ظلموا) في الآية، بقصد تحقيق غرض بلاغي، وهو التأكيد على ان العذاب من الله منزل على الظالمين بسبب ظلمهم، فلا يتجاوزهم إلى أحد غيرهم.

ومن قبيل التكرار اللفظي البليغ في اللغة العربية كذلك ما نجده في أسلوبي الإغراء والتحذير، في مثل قولنا: الصلاةَ الصلاةَ، والإهمالَ الإهمالَ.

(٢.ب.٥)**التعريف** Definiteness:

يقصد به دخول (ال التعريف) على اسم بعد أن سبق ذكره نكرةً في النص، فتكون أل التعريف عندئذ لا لمجرد التعريف، بل لإحالة الاسم المعرف إلى الاسم النكرة السابق ذكره، فتكوِّن بذلك إحدى صور الربط بالإحالة، ولو حُذفت (ال التعريف) من الاسم الثاني لتكرَّرَ الاسم النكرة، ولَفَقَدَ الكلامُ الاتصال والربط.. فـ [لام التعريف] أداة تتجاوز ما يراه النحاة من أنها تُحوِّلُ النكرة إلى معرفة، فهي تتعدى ذلك إلى الربط بين الجمل ربطًا يشبه الربط بالضمير، من حيث إنها تُذَكِّر السامع أو القارئ بشيء سبق ذكره، أو شيء مُعروف في الذهن جرى الكلام عليه.

و مما اورده هاليداي ورقية حسن من أمثلة على دور كل من التكرار واداة التعريف في الربط بين الجمل: اغسلي وانزعي نوى ست تفاحات للطبخ، ضعي التفاحات في صحن يقاوم النار[1].

ولا يخفي دور (لا التعريف) في المثال السابق في توضيح المعنى، وربط الجملتين بعضهما ببعض.

وهذا عينُ ما ألمح إليه العلامة عبد القاهر الجرجاني من قبلُ ـــ وذكرته الدراسة في المبحث السابق ـ في تعليقه على قول الشاعر ابن البواب:(مجزوء الوافر)

وإنْ قتلَ الهوى رَجُلا فإنيَ ذلك الرجُلُ

قال عبد القاهر: "انظر إلى الإشارة والتعريف في قوله:(فإني ذلك الرجل."(٢)، فهو يُلمح إلى دور كل من اسم الإشارة ولام التعريف في الإحالة وربط الكلام بعضه ببعض.

ومما سبق يلاحظ أن الدراسة قد اقتصرت على ذكر أدوات الربط الخمس السابقة على أنها تمثل أدوات الربط الرصفي اللفظي عند علماء لغة النص المحدثين، التي تعمل على ربط جمل النص وعناصره ربطا لفظيًا مباشرًا، بحيث تبدو جميعها على أنها صور مختلفة للإحالة الداخلية، التي يترابط بها النص على مستوى اللفظ، فكلها أدوات لفظية ظاهرة، ولم تتجاوز ذلك إلى كونها ظواهر دلالية ضمنية عميقة يترابط بها النص على المستوى المفهومي غير المباشر لا على المستوى اللفظي المباشر، على نحو ما ستوضحه الدراسة عما قريب تحت ما يُعرف بظواهر الترابط الدلالي.

---

[1] _ Halliday, and Ruqaya Hasan, Cohesion in English, p.3.

[٢] - انظر:عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،٩١

ولذلك، فقد أخذت الدراسة على بعض علماء لغة النص(١) أنهم ذكروا ضمن أدوات الربط اللفظي المباشر، بعض ظواهر الربط الدلالي غير المباشر، مثل: الربط (بظاهرة الحذف)، والربط (بظاهرة التضام) وكلتاهما ظاهرتان دلاليتان على نحو ما ستوضحه الدراسة بعد.

ومما يلاحظ كذلك مما سبق أن علماء لغة النص العرب والأجانب قد توسعوا عن البلاغيين العرب في ذكر أنواع مختلفة من أدوات الربط اللفظي.

٢ ـ ظواهر الترابط الدلالي ودورها في التماسك النصي عند البلاغيين العرب وعلماء لغة النص

وستقوم الدراسة بتوضيح هذا المبحث في ثلاثة مباحث فرعية على النحو الأتي:

(٢ـأ) مفهوم الترابط الدلالي وأهميته

لا شك أن أهم ما يجعل النص نصًا متماسكًا عناصره، مترابطًا أفكاره وموضوعاته ودلالاته، بحيث يبدو في النهاية وحدة واحدة وبنية دلالية متنامية، يمتد فيها خيط الدلالة من بدايتها إلى نهايتها دون توقف أو انقطاع، وهو ما يصطلح عليه علماء لغة النص بـ(الحبك أو الانسجام Coherence) الذي يعني عندهم الاستمرار الدلالي أو الترابط المفهومي(٢).

---

١ ـ انظر : دكتور احمد عفيفي، نحو النص، ١٠٥، وانظر: دكتور محمد خطابي، لسانيات النص، ٢٠٩

٢ ـ انظر: روبرت دي بواجراند، النص والخطاب والإجراء، ١٠٣.

وهذا التماسك الدلالي هو عين ما أكد عليه هاليداي ورقية حسن في حدهما للنص، بقولهما: "أفضل ما يُنظر إلى النص على انه وحدة دلالية، وحدة ليست في الشكل بل في المعنى"(١).

ويتحقق الترابط الدلالي في النص بمجموعة ظواهر دلالية، اي ظواهر تبدو في النص على مستوى العلاقات الدلالية الضمنية لا على مستوى الأدوات اللفظية المباشرة، أي أن البحث في ظواهر الترابط الدلالي للنص، يجب أن يكون بحثا في العمق الدلالي للنص، بغية الوصول إلى الفكرة العامة أو المقصد الكلي الذي تترابط به أفكار النص ومفاهيمه، وتتواصل حوله دلالات النص في تفاعل واطّراد ومنطقية؛ لأننا لو نظرنا إلى النص على مستوى أدوات الربط الظاهرة، لن نصل إلى التماسك الدلالي للنص، وهذا ما جعل كُلا من: روبرت دي بوجراند وبراون وويول ينتقدون هاليداي ورقية حسن في إصرارهما على ان أدوات الربط الظاهرة هي التي تشكل دعامة النص؛ مع انهما يعترفان بقوة العلاقة المعنوية الضمنية في تحقيق الترابط النصي(٢).

ومن أهمية الترابط الدلالي للنص أن أدوات الربط اللفظي المباشر، لا يمكن أن تحقق تماسك النص؛ ما لم يكن هناك تماسك دلالي أو جهة دلالية جامعة، تجمع ما قبل اداة الربط بما بعد أداة الربط، سواء على مستوى الجملة أو على مستوى النص، كما نص على ذلك عبد القاهر الجرجاني بقوله: "ولا يُتَصوّرُ إشراكٌ بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الإشراك فيه"(٣). فقد تُوجد أداة الربط ولا يتحقق الربط ولا الترابط في الجملة أو في النص في مثل قولنا: الفتاة جميلة وماشية، وقولنا: شبّ حريق في المبنى التجاري بالأمس، وانتصر المصريون في

---

[1] _ Halliady, and Ruqaya Hasan, Cohesion in English, p.1.

[1] - انظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ٢٩٩، وانظر: براون ويول، تحليل الخطاب، ٢٢٩.

[2] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،٢٢٤

السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣م. فمع وجود أداة ربط بين المفردتين في الجملة الأولى، وكذلك بين الجملتين في المثال الثاني، إلا أن الاتصال والتماسك النصي لم يتحقق، ولا تزال المعاني مفككة؛ لأن الجهة بينهما منفكة، وليس بينهما رابط دلالي منطقي يجمع بين المعنيين أو الفكرتين وهذا هو الأصل في تحقيق التماسك أو الترابط النصي.

ومما سبق يتضح أن الترابط الدلالي شكل من شَكْلَيْ التماسك النصي، وأن لهذا الترابط الدلالي مستويين، هما: ترابط دلالي على مستوى الجملة، وترابط دلالي على مستوى النص متعدد الجمل والأفكار. ويمكن أن نستوضح ظواهر الترابط الدلالي على كل مستوى على حدة عند كل من البلاغيين العرب وعلماء لغة النص، وذلك كما يلي:

(٣-ب) ظواهر الترابط الدلالي ودورها في تماسك النص عند البلاغيين العرب

لقد اهتم البلاغيون العرب بإبراز أهمية ظواهر الترابط الدلالي على مستوى الجملة، لا على مستوى الفقرة والنص، على نحو ما يتجلى عند عبد القاهر الجرجاني في باب (الفصل والوصل)،حيث حدد للوصل بين المعاني طريقين، وهما:

الأول: الوصل بحرف العطف، واشترط لهذا الوصل رغم أنه بأداة لفظية شرط الترابط المعنوي وهو: أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة دلالية جامعة، كما في قوله السابق: "ولا يُتصور إشراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الإشراك فيه"[١].

والثاني: الوصل بين المعنيين بترك حرْف العطف واشترط له أن يكون بين المعنيين علاقة تطابق دلالي، على نحو ما هو موجود بين: البدل والمبدل منه، التوكيد والمؤكد، والصفة والموصوف؛ أو يكون بين المعنيين علاقة ملابسة دلالية، كما هي الحال بين الفعل والفاعل، والفعل

---

١ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،٢٢٤

والمفعول، والمضاف والمضاف إليه؛ حيث قال عبد القاهر: "كالصفة لا تحتاج في اتصالها بالموصوف إلى شيء يصلها به، وكالتأكيد الذي لا يفتقر كذلك إلى ما يصله بالمؤكَّد... فإذا قلت: (جاء زيدٌ الظريف) و (جاءني القوم كلهم) لم يكن (الظريف) و (كلهم) غير زيد وغير القوم"[1]، كما قال القزويني من بعده فيما يتصل بهذا الباب: "الفعل مع المفعول كالفعل مع الفاعل، في أن الغرض في ذكره معه، إفادة تلبسه به، لا إفادة وقوعه مطلقًا"[2].

ولقد استطاع الدكتور محمد خطابي أن يستنبط أساسين أو شرطين اشترطهما عبد القاهر الجرجاني للربط أو للوصل بين المعاني على مستوى الجملة، وهما:

- ارتباط المعنيين في الواقع، وهو أن يكون بينهما جهة أو علاقة جامعة، كعلاقة الشبيه أو النظير أو النقيض، كالعلاقة بين: الحب والعشق، الحب والأنس، الحب والكره.

- ارتباط موضوعي، أي أن يكون المتحدَّثُ عنه في الجملتين واحدًا، أو يكون المتحدَّثُ عنه بين الجملتين شيئين، ولكن بشرط أن يكون بينهما علاقة، كأن يكونا كالنظيرين أو الشريكين بالنسبة للمخاطب[3].

كما أدرك البلاغيون أهمية الترابط الدلالي بين فقرات النص، فجعلوا ظواهر هذا الترابط من ظواهر البديع المعنوي، مثل: المقابلة، والطِّباق، والالتفات، والتورية، وتكرار المعنى، والاستدراج، وحسن التخلص، وصحة التقسيم، وحسن التفريق، وحسن اللف والنشر، وحسن الخاتمة، وتناسب المبادئ والخواتيم، وتمكين القافية والفاصلة، وغير ذلك من ظواهر الترابط الدلالي التي اهتم بها البلاغيون العرب في مباحثهم عن علم

---

[1] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،٢٢٧

[2] - القزويني، تلخيص المفتاح ، ١٢٦

[3] - انظر: دكتور محمد خطابي، لسانيات النص، ١٠٤.

البديع، ولم يهتموا بدراستها في مبحثهم من (الوصل) أو حتى في مباحثهم من علم المعاني.

ولذلك، فإن الدراسة تأخذ على البلاغيين العرب القدامى أنهم اهتموا - بهذه الظواهر الدلالية التي يتأسس عليها تماسك النص وترابطه الدلالي - في مباحثهم عن علم البديع، مع التجنيس والسجع وتوافق الفواصل والترصيع والتصريع، وغير ذلك من الظواهر التي تنتسب إلى اللفظ لا إلى المعنى.

ولعل أهم ما يُستَشهد به على إدراك البلاغيين العرب لأهمية الترابط الدلالي في تحقيق بلاغة النص وجودته، أن ابن طباطبا جعله أساسًا لكون النص نصًا مترابط الأجزاء، إذ يقول ابن طباطبا:"أحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظامًا ، يتسق به أوله مع آخره ، على ما ينسقه قائله ، فإن قُدم بيت على بيت دخله الخلل كما يدخل الرسائل والخطب إذا نُقض تأليفها. فإن الشعر إذا أسس تأسيس فصول الرسائل القائمة بأنفسها ، وكلمات الحكمة المستقلة بذاتها ، والأمثال السائرة الموسومة باختصارها ، لم يحسن نظمه، بل يجب أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها ، نسجًا وحسنًا وفصاحة ، وجزالة ألفاظ ، ودقة معانٍ ، وصواب تأليف ، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه إلي غيره من المعاني خروجًا لطيفًا ، على ما شرطناه في أول الكتاب ، حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغةٌ إفراغًا."(١)

ولعل الذي نصّ عليه ابن طباطبا في قوله السابق من تلاؤم أجزاء النص (ألفاظه وجمله وفقراته ومعانيه) وترابطها في بنية كلية واحدة ، بحيث يبدو وكأنه كلمة واحدة في اشتباه أوله بآخره نسجًا وحسنًا وفصاحة ؛ وتأدية كل جزء منه المعنى الذي أريد له. وهو ما ألمح إليه علماء لغة النص حديثًا بمصطلحاتهم حول مفهوم النص وأسس جودته

---

١ - ابن طباطبا ، عيار الشعر، ١٤٤ ، ١٤٥ .

ونصيته ، مثل مصطلح : (الاستمرار الدلالي والعلائقي للنص) ، (والاعتماد النحوي للنص) على مستوى الجملة والجمل والفقرات، اللذين بهما تتحقق البنية الدلالية للنص.

هذا، ولقد أدرك ابن طباطبا وغيره من البلاغيين العرب القدامى أن تماسك أجزاء النص في بنية كلية واحدة ، لن يتحقق إلا بمجموعة من الظواهر الدلالية والمحسنات المعنوية ؛ لذا فقد اهتم البلاغيون في مباحثهم بذكر هذه الظاهرة الدلالية والمحسنات المعنوية ، بوصفها تمثل شرائط وأركانًا لكل كتاب بليغ ذي شأن ، كما ألمح بذلك ضياء الدين ابن الأثير.(١) ، الذي أسس كتابه : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر على قسمين رئيسيين وهما : (في صناعة اللفظ) ، تناول فيه محسنات اللفظ ، و(في صناعة المعنى) تناول فيه معظم ما جاء عن البلاغيين في محسنات المعنى وبديعه ، التي أشار إلى بعضها ابن المعتز في كتابه البديع ، وقدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر تحت باب (صفات المعنى)، وأبو هلال العسكري في الباب التاسع من كتابه الصناعتين ، تحت عنوان (في شرح البديع وهو خمسة وثلاثون فصلاً) ذكر فيه كثيراً من ألوان البديع اللفظي وظواهر البديع المعنوي ؛ الأمر الذي يعكس لنا مدى اهتمام البلاغيين العرب بظواهر صناعة المعنى وتحسينه وإبداعه .

فلقد حصر البلاغيون في مصنفاتهم البلاغية أو في نقدهم للكلام البليغ على ذكر هذه الظواهر؛ إذ جعلوها من أركان الكتابة البليغة وقواعد الشعر الجيد ، بل نص أحدهم في مثله السائر في أدب الكاتب والشاعر على أنها من أسس صناعة المعنى ، وخصص لها ما يزيد عن نصف كتابه ، على أنه يقصد بصناعة المعنى : المعنى العام للرسالة أو للخطبة أو للقصيدة ، لأنه خصّص القسم الأول من كتابه لظواهر صناعة اللفظ التي يقصد بها صناعة اللفظ المفرد أي حسن اختياره وسجعه وتجنيسه ، وصناعة اللفظ المركب أي حسن سبكه ونظمه وعدم تنافر

١- انظر : ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر ، ١ / ٨٧ .

ألفاظه أومعاظلتها . الأمر الذي يعكس لنا مدى اهتمام البلاغيين العرب بصناعة معنى النص وبناء دلالاته وتحسينها وإبداعها ، ابتداءً من حسن مبادئه وافتتاحه ومروراً بترابط افكاره وتناسب معانيه ، سواء بمؤاخاتها أو بمقابلتها أو بحسن التخلص والخروج من معنى إلى معنى وعدم الاقتضاب ، وصحة تقسيمها وحسن ترتيبها ، وحسن الإيجاز والإطناب والاعتراض والتكرير وعدم التطويل ، وحسن استدراج المعاني للإقناع والإفهام ، وحسن الالتفات ، والتورية ، والتفسير بعد الإبهام ، وعطف المظهر على المضمر بغرض تفخيم الأمر وتعظيم الشأن ، وحسن الإرصاد ، ورد العجز على الصدر ، وحسن التضمين ، ووصولاً إلى حسن الخاتمة ، ليخرج النص في النهاية وكأنه افرغ إفراغًا ، أو كأنه كلمة واحدة في اشتباه أوله بآخره نسجًا وحسنًا وفصاحة ، على غرار ما ذكرنا آنفًا عن ابن طباطبا.

ويمكن أن نذكر ظواهر الترابط الدلالي عند البلاغيين العرب فيما يأتي:

(٣.ب.١) ظاهرة حسن افتتاح النص وحسن اختتامه

لقد جعل البلاغيون العرب حسن مباديء الكلام وافتتاحه ركنًا من الأركان التي تتحقق بها بلاغته ، لأن مبدأ الكلام هو أول ما يطرق السمع، فإن حَسُن هذا المبدأ وألمح بمدلول النص وغرضه ، توفرت الدواعي لدى المتلقي على استماع النص أو قراءته ، والعكس بالعكس صحيح .

وهذا ما جعل ابن الأثير ينص على كون حسن المباديء والافتتاحات من أركان البلاغة، بقوله: " فأما الأركان التي لابد من إيداعها في كل كتاب بلاغي ذي شأن فخمسة . الأول : أن يكون مطلع الكتاب عليه جدة ورشاقة ، فإن الكاتب من أجاد المطلع والمقطع ، أو يكون مبنيًا على مقصد

الكتاب؛ ولهذا باباً يُسمى باب المبادئ والافتتاحات ، فَلْيُحْذُ حذْوَهُ ، وهذا الركن يشترك فيه الكاتب والشاعر."(١)

ثم ذكر في موضع آخر أن " حقيقة هذا النوع أن يجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالاً على المعنى المقصود من ذلك الكلام ، إن كان فتحاً ففتحاً ، وإن كان هناء فهناء ، أو كان عزاء فعزاء، وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني .. وفائدته أن يُعْرف من مبدا الكلام ما المراد به .. وأهمية الافتتاح أنه أول ما يطرق السمع من الكلام ، فإذا كان لائقاً بالمعنى الوارد بعده ، توفرت الدواعي على استماعه ، كما في ابتداءات السور."(٢)

وعلى غرار اهتمام البلاغيين العرب بمباديء الكلام وافتتاحاته اهتموا (بأعجاز الكلام ونهاياته) إذْ اشترطوا لجودة الكلام أن يكون كالكلمة الواحدة في اشتباه أوله بآخره نسجاً وحسناً وفصاحة وجزالة الفاظ ودقة معانٍ ، على نحو ما نقلت الدراسة قبل ذلك عن ابن طباطبا . فقد اشترط البلاغيون العرب لجودة الكلام أن تكون خاتمته متصفة بما اشترطوه في إعجاز البيت الشعري ، ومقاطع الجمل في الرسائل ، وفواصل الآيات القرآنية من ضرورة إتباعها للمعنى ، وتأكيدها لِه ، وإيغالها فيه ، وائتلافها مع المباديء والافتتاحات ، على غرار ما نجده عند ابن الأثير(٣)، وعند الخطابي في مقارنته بين النظم القرآني وبعض نظوم البشر، في مدى ملائمة افتتاحية الكلام بخاتمته[٤]. وكما نُلفيه عند الإمام البقاعي ٨٨٥هـ في كتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) ، ولدى السيوطي ٩١١هـ في كتابه (تناسق الدرر في تناسب السور)، وغيرهم ممن كتبوا في (علم المناسبات) الذين اهتموا ببيان تناسب السورة في مجاورتها

---

١ - انظر : ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر ، ١ / ٨٧ .

٢ - ابن الأثير ، المثل السائر ، ٢ / ٢٢٣ – ٢٢٤ .

٣- انظر : ابن الأثير ، المثل السائر ، ٢ / ٢٨٤ – ٢٨٥ .

٤- انظر : الخطابي ، بيان إعجاز القرآن، ٦٧ .

للسورة ، والآية في مجاورتها للآية ؛ وإن لم يأخذ هذا الاهتمام عندهم منهجاً شاملاً موحداً في بيان كل أوجه التناسب الموجودة في ورود الآيات والموضوعات والقصص المختلفة في سورة واحدة ، ولخدمة مقصد شرعي واحد أو موضوع فكري رئيسي.(١)

(٢.ب.٢) ظاهرة تناسب معاني النص وترابطها وتضمينها

إن أهم الظواهر الدلالية التي تتأسس عليها بنية النص ترابط أفكاره وتناسب معانيه ، عن طريق: مؤاخاتها ، أو مقابلتها ، أو حسن التخلص والانتقال بينها وعدم اقتضابها ، أو تضمين المعنى أكثر من بيت أو فصل أو آية . ولقد أدرك البلاغيون العرب هذه الأهمية جيداً ، على غرار ما نجده عند ابن الأثير في بنائه الركن الثالث من أركان بلاغة الكلام على ترابط أفكاره وتناسب معانيه، إذ يقول: " الركن الثالث : أن يكون خروج الكاتب من معنى إلى معنى برابطة ، لتكون رقاب المعاني آخذة بعضها ببعض، ولا تكون مقتضبة ، ولذلك باب مفرد أيضاً يُسمي باب التخلص والاقتضاب . وهذا الركن أيضاً يشترك فيه الكاتب والشاعر."(٢)

وإلى نفس هذا المعنى نص ابن طباطبا تحت باب (تأليف الشعر) ، قال: " وينبغي للشاعر ان يتأمل تأليف شعره، وتنسيق أبياته ، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ، ويتصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فضلاً من حشو ليس من جنس ما هو فيه .. ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه إلى غيره

١- للاستزادة في موضوع تناسب الآيات والسور ومقابلة جهود علمائنا في علم المناسبات بجهود علم اللغة النصي في تفسير النصوص، انظر : دكتور محروس محمد إبراهيم ، المعاني النصية في القرآن الكريم ، سورة المجادلة نموذجاً،٤٠ – ٥٢ .

٢ – ابن الأثير، المثل السائر ، ١ / ٨٧ .

من المعاني خروجًا لطيفًا، على ما شرطناه في أول الكتاب، حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغًا " (١)

ويُعَدُّ (التضمين) ظاهرة من الظواهر الدلالية التي يترابط بها النص، وتتناسب بها معانيه؛ لأن ثمة نوعين من التضمين عند البلاغيين العرب ، الأول منهما أجمعوا على استحسانه في النص، حيث يقصدون به أن يضمن الشاعر قصيدته أبياتًا أو بعض أبيات من شعر غيره ، إذ يقول أبو هلال العسكري : " وقد تُسمى استعارتك الأنصاف والأبيات من شعر غيرك ، وإدخالك إياه في أثناء أبيات قصيدتك تضمينًا ، وهذا حسن."(٢) وقد أشار إلي هذا المعنى كثير من البلاغيين العرب.(٣)

ولعل استحسان البلاغيين لهذا النوع من التضمين يعود إلى حسن استشفاع المعنى بالمعنى وتأكيده به ، وهو ما يُسمى في النقد الأدبي الحديث بمصطلح (التناص) Intertextuality (٤)، كان يُضَمِّن الشاعر قصيدته بعض معاني القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو بعض قصائد المشاهير من شعراء العرب . وطبعىً ألاّ تتضامن المعاني ولا تتناص النصوص إلا إذا تناسبت المعاني وتآخت الأفكار والدلالات ، مما يدعم ترابط النص واطراده على حد تعبير البلاغيين القدامى، والاستمرار المعرفي والعلائقي على حد تعبير علم اللغة النصي .

---

١ ـ ابن طباطبا، عيار الشعر ، ١٤٢ ، ١٤٤ .

٢ ـ ابو هلال العسكري ، الصناعتين ، ٤٢ .

٣ ـ انظر: الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ١٠٢ ، وانظر : ابن الأثير، المثل السائر ، ٢ / ٣٢٤ .

٤ ـ من اشهر معاني هذا المصطلح في النقد الأدبي الحديث : " التقاطع داخل نص لتعبير ماخوذ من نصوص اخرى " وهو ظاهرة مستحسنة عند النقاد قديمًا وحديثًا ؛ لما فيها من مماثلة ومشابهة بين المعاني واستشفاع المعنى بالمعنى او الراي بالراي او القول بالقول. للمزيد من معرفة هذا المصطلح ومراحل تشكله في النقد من القديم إلى الحديث، يُرجع إلى : الدكتور محمد عبد المطلب ، قضايا الحداثة عند عبد القاهر ١٣٦ ، ١٩٣ .

أما النوع الثاني من (التضمين) فهو ما اسموه (تضمين السناد) ، ويقصد به : " ان يكون الفصل الأول مفتقراً إلى الفصل الثاني ، والبيت الأول محتاجًا إلى الأخير . كقول الشاعر: (الوافر):

كأنّ القلبَ ليلة قيل يُغْدي ..... بليلى العامريّة او يُـراحُ

قطاةً عزّها شَرَكٌ فباتتْ ..... تُجاذبُهُ وقد عَلِـق الجَناحُ

فلم يُتم المعنى في البيت الأول حتى أتمه في البيـت الثـاني ، وهـو قبيح."(١)

والذي يُلاحظ هنا انه إذا كان بعض البلاغيين العرب قد عاب تضمين السناد ، فإن بعضهم قد استحسنه مثل ابن الأثير ، بحجة أن سناد البيت من الشعر او الفصل من النثر في معناه إلى الذي يليه، يؤدي إلى ترابط أجزاء النص في المعنى ، وهو ما تعتمده هذه الدراسة .

ولا يكون ترابط أفكار النص إلا بتناسب معانيه سواء بالمؤاخاة بينها ، او بمقابلة بعضها ببعض على اعتبار أن المعنى يتضح ويتميز بغيره ، أو عن طريق حسن التخلص والتنقل بين المعاني المختلفة، وهذه الظـواهر الدلالية الثلاث عدها البلاغيون شروطًا لبناء النص وتحقق تماسكه وترابط افكاره ومعانيه في بنية دلالية كلية . ويمكن توضيح ذلـك بشـيء مـن التفصيل على النحو التالي .

اولى ظواهر ترابط الأفكار وتناسـب معـاني الـنص (المؤاخـاة بـين معانيه) ، وهى أن يذكر المعنى مع اخيه ، لا مع الأجنبي عنه ، فيتحقـق بذلك تواصل المعاني واطرادها واستمرارها وتناميها داخل النص في بنية دلالية كلية واحدة . فكما اهتم البلاغيون العرب بحسن مصاحبة الكلمـة لأختها داخل الجملة ؛ اهتموا كذلك بحسـن مؤاخـاة الجملـة والفكـرة لأختها داخل النص .

١- ابو هلال العسكري ، الصناعتين ، ٤٢ .

فبحسن تآخي المعاني والأفكار يحسُن نظم النص ، كما يحسن نظم الجملة إذا تآخت ألفاظها ولم تتنافر . ولذلك امتدح البلاغيون العرب تناسب معاني النص وترابط أفكاره ، وذمّوا معاظلة معانيه وتنافر أفكاره .

ومن تآخي المعاني التي امتدحها البلاغيون العرب ، مناسبة فاصلة الآية مع صدرها ، وعجز البيت مع أوله ، وخاتمة السورة مع فاتحته. ومن ذلك ما استحسنه الخطابي في القرآن الكريم من ملاءمة افتتاحية سورة الحاقة وسورة القارعة مع موضوع السورتين وسياقهما وخاتمتهما حيث يتناسب التهويل المستفاد من تكرار اللفظ والسؤال في أول السورة مع الحديث عن يوم عظيم الهول ، ومع سياق التهديد والترهيب ، ومع خاتمة النار والعذاب . وذلك في مقابل ما استرذله الخطابي من فساد التلاؤم بين صدور الكلام وعجزه في قول بعضهم ، (الفيل وما أدراك ما الفيل له مشفرٌ طويل وذنَب قصير) ، إذ علق الخطابي على ذلك بقوله : " أيّ صغير ما أتيت به في عجز كلامك من عظيم ما أصميته في صدره، ويسير ما رضيت به في آخره من كثير ما أنميته في أوله."(١)

ومن الملاءمة بين المعاني ما استحسنه ابن الأثير من مناسبة فواصل آيات القرآن الكريم لصدورها، من مثل قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) الحج: ٦٥ ، وقوله تعالى:(وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) النور: ٦، وقوله تعالى : (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ) النور ١٠، حيث بيّن ابن الأثير أنه لما كان صدر الآية الأولى عن النعم التي سخرها الله لعباده، جاءت الفاصلة بما يناسب هذا التسخير من كونه لا يتأتى إلا من

---

١ - الخطابي ، بيان إعجاز القرآن الكريم ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم ، ٦٧ .

رأفة الله ورحمته بعباده ، كما بَيَّنَ ابن الأثير انه لما جاءت الآية الثانية بحكم الله وتشريعه لمن يرمون أزواجهم بالفاحشة ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم ، جاءت الفاصلة بتأكيد كون الله توابًا حكيمًا ، لأن في تشريع الله وقبوله من عبده الحكم بعد المعصية – توبةً منه عليه ، وحكمة منه في ستر الفاحشة والذنب.(١)

وثاني ظواهر ترابط الأفكار وتناسب معاني النص (مقابلة معانيه) ، وهى أن يذكر المعنى مع مقابله ، وفي ذلك من المناسبة ما لا يخفى ، لأن المعنى يتميز بضده ، كما أن ذكر المعنى كثيراً ما يستدعى ذكر مقابله ونقيضه . وهذا ما ذهب إليه ابن الأثير في كتابه ، إذ ذكر أن المقابلة يعنى بها الجمع بين الشيء وضده ، كالسواد والبياض والليل والنهار، وهو ما أسماه معظم البلاغيين بـ (المطابقة)، وخالفهم ابن الأثير في هذه التسمية ، وهو ما توافقه فيه هذه الدراسة ، لأن المطابقة من طابق البعير في سيره أي وضع رجله موضع يده ، ومن ثم لا يدل لفظ مصطلح (المطابقة) على معنى التناقض المقصود منه . وأيًا كان المصطلح فقد أجمع البلاغيون على أن المقابلة من باب التلاؤم أو التناسب المعنوي الذي تترابط به الفِكَرُ والمعاني داخل النص ، وإلا ما كان يزداد به المعنى وضوحًا .

وذكر البلاغيون من المقابلة نوعين : الأول : مقابلة الشيء بضده معنى فقط ، أو لفظًا ومعنى كما في قوله تعالى : (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاء بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)التوبة : ٨٢ وقوله تعالى : (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) الحديد: ٢٣ ومقابلة الشيء بضده معنى فقط ، مثل قول المقنّع الكندي من شعراء الحماسة : (الطويل)

لهم جُلُّ مالي إنْ تتابَعَ لي غِنًى .... وإنْ قلّ مالي لم أُكَلِّفْهُمُ رِفْدَا

---

١ ـ انظر : ابن الأثير ، المثل السائر، ٢ / ٢٨٤ – ٢٨٥ .

والنوع الثاني من المقابلة : مقابلة الشيء بما ليس ضده ، كما في قوله :(مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا) الفتح : ٢٩ ، فالشدة ضدها اللين وليس الرحمة ، ومنه قوله تعالى : (إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ) التوبة : ٥٠ ، فالحسنة ضدها السيئة وليست المصيبة.(١)

وثالث ظواهر ترابط الأفكار وتناسب معاني النص (حسن التخلص والتنقل بين المعاني وعدم اقتضابها) . فقد ذكر ابن الأثير مقارنة بين التخلص والاقتضاب ، قائلاً : " أما التخلص فهو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني ، فبينا هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره ، وجعل الأول سبباً إليه ، فيكون بعضه آخذاً برقاب بعض ، من غير أن يقطع كلامه ، ويستأنف كلاماً آخر. بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً ، وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه .. فلذلك يشق التخلص على الشاعر أكثر مما يشق على الناثر . وأما الاقتضاب فإنه ضد التخلص وذلك أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه ، ويستأنف كلاماً آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك ، ولا يكونّ للثاني علاقة بالأول."(٢)

وقد خصّص ابن طباطبا في عيار الشعر باباً عن (التخلص) عرض فيه لمقطوعات من شعر الشعراء ، استحسن منها ما اعتُمد فيها على حسن التنقل ولطف التخلص بين المعاني ، واستقبح منها ما اعتُمد فيها على اقتضاب المعاني.(٣)

كما قارن الباقلاني بين الكلام البشري الذي يتفاوت تفاوتًا بيّنًا ، في الفصل والوصل ، والعلو والنزول ، وبين القرآن الكريم الذي ينتقل

١- انظر: ابن الأثير ، المثل السائر ، ٢ / ٢٦٥ ، وانظر: أبا هلال العسكري ، الصناعتين ، ٣٤٦ – ٣٤٩ .

٢ - ابن الأثير، المثل السائر ، ٢ / ٢٤٤ ،

٣- انظر: ابن طباطبا ، عيار الشعر ، ١٢٦ – ١٣٥ .

من غرض إلى غرض ومن قصة إلى قصة ومن باب إلى باب من غير خلل في نظم الفصل والوصل ، حتى يصور لك الفصل وصلاً ، ببديع التأليف وبليغ التنزيل.(١)

وهذا ما جعل الباقلاني يعيب على البحتري أنه يُسيء الخلُوص من غرض إلى غرض ، ويمدح أبا تمام بحسن خروجه من معنى إلى معنى.(٢)

(٣.ب.٢) ظاهرة صحة تقسيم معاني النص وحسن ترتيبها

إن من أهم الظواهر المعنوية التي أوردها البلاغيون العرب في نقدهم للمعاني الشعرية للقصيدة أو لصناعة المعنى عموماً لدى الكاتب أو الشاعر – ظاهرة صحة تقسيم المعاني ، وحسن مقابلتها ، وصحة تفسيرها، وحسن لفها ونشرها ، وهذه الظواهر الأربع يعالج فيها البلاغيون صحة تقسيم المعاني ولفها ، إلى جانب حسن ترتيبها عند تفريقها أو نشرها، للتفسير أو التفصيل. وقد اشترط البلاغيون في ذلك أن تكون قسمة المعاني عند لفها قسمةً صحيحة ومنطقية أي جامعة مانعة ، وأن يكون ترتيب المعاني عند نشرها وتفريقها للتفسير أو التفصيل ترتيباً صحيحاً وحسناً : صحيحاً يراعي عددها عند لفها وتقسيمها ، دون زيادة أو نقصان أو تداخل ، وحسناً يراعي نفس ترتيبها عند تفسيرها ونشرها ، أو يخالفه لغرض معنوي عند تفريقها وتفصيلها .

فلقد ذكر البلاغيون في (صحة تقسيم المعاني) " أن تُقسِّمَ الكلام قسمةً مستوية ، تحتوي على جميع أنواعه ، ولا يخرج منها جنس من أجناسه ؛ فمن ذلك قول الله تعالى : (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ) الرعد : ١٢ ، وهذا أحسن تقسيم ؛ لأن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع ، وليس فيهم ثالث .. ومن عيوب القسمة قول الأخطل : (الطويل)

١ـ انظر: الباقلاني ، إعجاز القرآن، ١٩٠ .

٢ـ انظر: الباقلاني : إعجاز القرآن ٢٢٧ .

إذا التقت الأبطالُ أبصرتَ لونَهُ.... مضيئًا وأعناقُ الكُماةِ خُضُوعُ

كان ينبغي أن يقول: وألوان الكماة كاسفة ، و(مضيئة) مع (خضوع) رديء جداً."(١)

ومما ذكره البلاغيون في (صحة التفسير) ما أورده أبو هلال العسكري مثل غيره من البلاغيين من قبل ومن بعد، قال: "هو أن يُورِدَ معاني تحتاجُ إلى شرح أحوالها ، فإذا شُرحت تأتي في الشرح بتلك المعاني من غير عدول عنها أو زيادة تُزاد فيها ، كقول الله تعالى (وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) القصص: ٧٣ ، فجعل السكون لليل ، وابتغاء الفضل للنهار ، فهو في غاية الحسن ، ونهاية التمام ... ومن فساد التفسير ما كتب بعضهم : ومَنْ كان لأمير المؤمنين كما أنت له من الذّب عن ثغوره ، والمسارعة إلى ما يهيبُ به إليه من صغير أمره وكبيره ؛ كان جديراً بنصح أمير المؤمنين في أعماله ، والاجتهاد في تثمير أمواله . فليس الذي قُدم من الحال التي عليها هذا العامل : من الذب عن الثغور، والمسارعة في الخطوب ، ما سبيله أن يفسر : بالنصح في الأعمال ، وتثمير الأموال."(٢)

ومما أورده ابو هلال العسكري كغيره من بلاغيّي العرب في ظاهرة (حسن مقابلة المعاني) ، قال : "والمقابلة إيراد الكلام ، ثم مقابلته بمثله في المعنى أو اللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة . فأما ما كان منها في المعنى فهو مقابلة الفعل بالفعل ، مثال قوله تعالى : (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) النمل:

---

١ ـ أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ٣٥٠ – ٣٥٢ ، وانظر قريبًا من هذا الكلام وتلك الشواهد : قدامة بن جعفر، نقد الشعر ، ١٣١ – ١٣٣ ، وانظر: ابن الأثير، المثل السائر، ٢ / ٢٨٨ – ٢٩١ .

٢ ـ أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ٣٥٥– ٣٥٧ ، وللمزيد من هذا الباب، انظر كذلك : قدامة بن جعفر ، نقد الشعر، ١٣٥ – ١٣٧ ، ١٩٩ – ٢٠١ ، وانظر كذلك : ابن الأثير ، المثل السائر ، ٢ / ٢٨٨ – ٢٩١ .

٥٢، فخواء بيوتهم وخرابها بالعذاب مقابلة لظلمهم . ونحو قوله تعالى : (وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُون) النمل: ٥٠ ، فالمكر من الله تعالى العذاب، جعله الله مقابلة لمكرهم بأنبيائه وأهل طاعته. وقوله تعالى: (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) يونس: ٦٧ ، وأمّا ما كان منها بين الألفاظ ، فمثل قول عديّ بن الرقاع : (الكامل)

ولقد تَبِيْتُ يدُ الفتاة وسادةً ... لي جاعلاً إحدى يَدَيَّ وسَادَها

وفساد المقابلة أن تذكر معنىً يقتضي الحال ذكر ما يوافقه او يخالفه ، فيؤتي بما لا يوافق ولا يخالف ؛ مثل أن يقال : فلان شديد البأس ، نقيّ الثغر . أو جواد الكف أبيض الثوب. أو تقول : ما صاحبتُ خيِّرًا ، ولا فاسقًا ، وما جاءني أحمر ، ولا أسود .

ووجه الكلام أن تقول : ما جاءني أحمر ولا أسود ، وما صاحبتُ خيِّرًا ولا شريرًا . وفلان شديد البأس ، عظيم النكاية . وجواد الكف ، كثير العرف ، وما يجري مع ذلك ؛ لأن السمرة لا تخالف السواد غاية المخالفة ، ونقاء الثغر لا يخالف شدة البأس ولا يوافقه . فاعلم ذلك وقس عليه."(١)

(٣.ب.٤) ظاهرة حسن إطناب المعنى؛ بتكريره وتكميله والاعتراض بين أجزائه

اهتم البلاغيون العرب بظواهر عرض المعاني داخل بنية النص الدلالية ، فاستحسنوا من الكلام ما جاء جامعًا بين الإيجاز والإطناب في آن، واستقبحوا منه ما جاء على عكس ذلك مطولاً ؛ لأن الإيجاز عندهم ليس ضدًا للإطناب ، وإنما هو ضد التطويل . فإذا كان الإيجاز يُعنى به الإتيانُ باللفظ على قدر المعنى دون أدنى زيادة عليه ، فهو عندهم حسن ، مثل الإطناب الذي يُعنى به زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ؛ وذلك بعكس

---

١ ـ أبو هلال العسكري ، الصناعتين، ٣٤٦ – ٣٤٩ ، وللمزيد من هذا الباب انظر كذلك: قدامة بن جعفر، نقد الشعر ، ١٣٣ – ١٣٥ ، ٢٠٤-٢١٣ .

التطويل الذي استقبحوه لأنهم يطلقونه على زيادة اللفظ على المعنى بدون فائدة .

وقد استحسن البلاغيون في الكلام ظواهر عدة للإطناب المفيد ، مثل : ظاهرة التكرير ، وظاهرة التتميم والتكميل ، وظاهرة الاعتراض .

ويمكن توضيح هذه الظواهر التي استحسنها البلاغيون العرب والتي استقبحوها مما نص عليه ابن الأثير في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، وقد أدرج هذه الظواهر تحت قسم (في صناعة المعنى) ، فقال : " والذي يُحَدُّ به (يعني الإطناب) ان يقال : هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ، فهذا حده الذي يميزه عن التطويل ؛ إذ التطويل هو زيادة اللفظ على المعنى لغير فائدة . وأما التكرير فإنه دلالة على المعنى مردداً ، كقولك لمن تستدعيه : أسرعْ أسرعْ ، فإن المعنى مردد واللفظ واحد.

وإذا كان التكرير هو إيراد المعنى مردداً : فمنه ما يأتي لفائدة ، ومنه ما يأتي لغير فائدة . فأما الذي يأتي لفائدة فإنه جزء من الإطناب ، وهو أخص منه ، فيقال حينئذ : إن كل تكرير يأتي لفائدة فهو إطناب ، وليس كل إطناب تكريراً يأتي لفائدة . وأما الذي يأتي من التكرير لغير فائدة فإنه جزء من التطويل ، وهو أخص منه ، فيقال حينئذ : إن كل تكرير يأتي لغير فائدة تطويل ، وليس كل تطويل تكريراً يأتي لغير فائدة."(١)

ومن أمثلة الإطناب أو الزيادة المفيدة التي تفيد تأكيد المعنى وتصويره ، حتى إذا سمعه المخاطب صوره لنفسه ، مثل قولهم : رأيتُه بعيني ، وقبضتُه بيدي ، ووطئتُه بقدمي ، وذقته بفمي ، كل هذا يظن الظانُّ أنه زيادة لا حاجة إليها ، إذ الرؤية لا تكون إلا بالعين ، وكذلك القبض لا يكون إلا باليد، الوطء لا يكون إلا بالقدم ، والذوق لا يكون إلا بالفم ، وليس الأمر كذلك ، بل هذا يقال في شيء يعظم منالُه ويعز

١ - ابن الأثير، المثل السائر ، ٢/١٢٠ – ١٢١ .

الوصول إليه ، فيؤكد الأمر فيه على هذا الوجه دلالة على نيله والحصول عليه.

ومنَ الإطناب كذلك ما جاء في القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى : (ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ) الأحزاب: ٤ ، وقوله تعالى : (مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) الأحزاب: ٤ ، وقوله تعالى : (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ) النحل: ٢٦ ، وكلها آيات تُساق في مقام الترهيب والتخويف ، فجيء بهذا الإطناب المفيد . ومنه كذلك قوله تعالى : (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ) الحاقة: ١٣ ، وقوله تعالى : (فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً) الحاقة: ١٤ ، فكلمة واحدة في الآيتين السابقتين إطناب وزيادة مفيدة بتأكيد سهولة الأمر على الله وسرعة حدوثه.(١)

ومن ظواهر الإطناب الذي استحسنه البلاغيون ، ظاهرة التتميم والتكميل ، وهو " أن توفي المعنى حظه من الجودة ، وتعطيه نصيبه من الصحة ، ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده، أو لفظًا يكون فيه توكيده إلا تذكره ، كقوله تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) النحل : ٩٧ ، فبقوله : (ک ک) تمّ المعنى . ونحو قوله سبحانه : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) فصلت: ٣٠ ، فبقوله تعالى : (پ) تم المعنى ايضًا."(٢)

ومن الإطناب المستحسن (ظاهرة الاعتراض) ويُعنى بها عند البلاغيين العرب ، كما جاء عن ابن الأثير: " كل كلام ادخل فيه لفظ مفرد أو مركب ، لو اسقط لبقى الأول على حاله "(٣). ثم ذكر

١- انظر : ابن الأثير ، المثل السائر ، ١٢١/٢ - ١٢٣ .

٢- ابو هلال العسكري ، الصناعتين ، ٤٠٤ .

٣- ابن الأثير ، المثل السائر ، ٢ / ١٧٢ .

ابن الأثير أنواعاً من الاعتراضات المستحسنة ، مثل : الاعتراض بين القسم وجوابه ، والصفة والموصوف ، والمعطوف والمعطوف عليه ، والشرط وجوابه . كما ذكر من الاعتراضات القبيحة، مثل : الاعتراض بين المضاف والمضاف إليه ، وإن واسمها ، وبين حرف الجر ومجروره .

ومن الأمثلة التي استسحسنها ابن الأثير ، ما جاء في قوله تعالي : (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) الواقعة ٧٥، ٧٦، فقوله (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) اعتراض بين القسم وجوابه ، وقوله (لو تعلمون) اعتراض بين الصفة والموصوف.(١)

ولكن الذي تأخذه الدراسة على ابن الأثير أنه جعل حذف الكلمة أو الجملة الاعتراضية ممكنًا دونما التأثير على المعنى ، كما في قوله في حده الاعتراض " لو أسقط لبقى الأول على حاله" والصحيح أن للاعتراض فائدةً لا يمكن تجاهلها عند تصور المعنى الكلي . ولو كان حذف الاعتراض غير مؤثر على معنى الكلام ، لصار كل اعتراض تطويلاً قبيحًا ، ولتناقض ابن الأثير مع نفسه في استحسان ما استشهد به من اعتراضات جاءت بها بعض آيات القرآن الكريم.

(٢-ب-٥) ظاهرة الالتفات والعدول بالمعنى لتفخيمه والتشويق إليه

استحسن البلاغيون العرب ظواهر العدول بالمعنى ومظاهر التحول الأسلوبي مثل : الالتفات بين المعاني ، وإظهار بعضها بعد إضماره ، وتفسير بعضها بعد إبهامه ، وغير ذلك من الظواهر الدلالية التي أيقن البلاغيون العرب أن في استعمالها تحقيقًا لأغراض بلاغية ومقاصد معنوية ، يقصدها المتكلم ويقتضيها السياق ، مثل : التشويق إلى المعنى ، وتفخيمه وتعظيمه ، وتأكيد حصوله ، وتصويره أو استحضار صورته، وغير ذلك من المعاني البلاغية التي لا يمكن تحقيقها في النص ، أو إيصالها للمتلقي ، بمجرد التعبير بالمعنى على جهته الحقيقية وأصل

١- انظر: ابن الأثير، المثل السائر ، ٢ / ١٧٢ – ١٧٣ .

استعماله في اللغة؛ لأن التعبير الحقيقي في اللغة يمكن أن يعبر به المتكلم عن عموم معانيه، ولكنه لا يمكن أن يعبر به عن خصوصيات المعنى وظلاله ومشاعره المصاحبة له ودقائق أغراضه ومقاصده ، إلا بالتعبير المجازى واستعمال ظواهره البيانية التي أشرت إليها في المبحث السابق ، وظواهره الدلالية التي أشرت إليها وافصِّل القول فيها في هذا المبحث ؛ لأبيِّن إلى اى مدى يتأسس بناء النص على تلك الظواهر ، ويعوز بل يضطر إليها المتكلم للتعبير عن مقاصده ومعانيه ، والتأثير بها في المتلقي.

وتُعَد (ظاهرة الالتفات) من أهم ظواهر العدول بالمعنى ، التي يلجا إليها المتكلم عادلاً بها عن التعبير بالمعنى على جهته الحقيقية وأصل استعماله في اللغة؛ ليحقق معاني بلاغية متعددة، لا يمكن تحديدها بدقة إلا فى إطار سياق الكلام ومقامه. وهذا ما استحسنه البلاغيون العرب فى تحليلهم وتقدمهم للكلام البليغ ، أو في تأطيرهم وتنظيرهم لبلاغته.

فلقد احتفى البلاغيون بظاهرة الالتفات في العربية، حتى أخذ الالتفات عندهم مجالات متفاوتة، فمنهم من جعله: الانتقال والتحول من معنى إلى معنى ثانٍ مُتصل بالأول على سبيل الاستطراد، كما هي الحال عند الأصمعي ٢١٣ هـ(١) ، ومنهم من جعله الانتقال والتحول من معنى إلى معنى ثم الرجوع إلى المعنى الأول لتأكيده أو لإزالة الشك فيه على سبيل الاستدراك، كما هي الحال عند قدامة بن جعفر(٢) ، ومنهم من جعله فى أمرين : التحول والتنوع بين الضمائر ، والانصراف من معنى إلى معنى على سبيل الاستطراد ، كما هى الحال عند ابن المعتز(٣)، واتسع مجال الالتفات عند ابن رشيق القيراوني ٤٥٦هـ حتىْ شمل ظواهر متعددة ،

١- انظر : ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده ، ٤٥/٢ ، وانظر : القزويني ، الإيضاح فى علوم البلاغة ، ٣٦١ .

٢- انظر : قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، ١٤٦ .

٣- انظر : ابن المعتز ، البديع ، تحقيق المستشرق اغناطيوس كراتشقوفيكي، ٥٨.

مثل : الالتفات بين الضمائر ، والاستطراد ، والرجوع أو الاستدراك ، وتتميم المعنى أو (الاحتراس)، والتذييل أو التعقيب على المعنى ، والاعتراض أي اعتراض كلام في كلام [1]، وجاء ابن الأثير في مثله السائر ليحدد مجال الالتفات بعض الشيء في ثلاث ظواهر بلاغية تتمثل في: (مخالفة مقتضى الظاهر في استعمال الضمائر ، والعدد ، وصيغ الكلمة) [2]، وتبعه في ذلك يحيى بن حمزة العلوي ٧٤٩هـ في كتابه الطراز.

ولقد عرض الدكتور حسن طبل في مؤلف خاص بأسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية لهذا الاختلاف والتفاوت والتأرجح في مصطلح الالتفات عند البلاغيين العرب، حتى استطاع أن يحدد في النهاية البلاغيين والمفسرين الذين تمكنوا من (تحديد المصطلح وتأطيره) وتمييزه عن غيره من المصطلحات التي تمثل ظواهر بلاغية أخرى ، قد أقلها البلاغيون في مصنفاتهم بالبحث والاستشهاد عليها ، مثل ظاهرة : الاعتراض ، والاستدراك ، والاستطراد ، والتتميم والتكميل ، والتذييل .

وكان من البلاغيين الذين تَحَدَّدَ عندهم مصطلح (الالتفات) في التحول بين الضمائر : الزمخشري الكشاف والسكاكي في المفتاح ، والقزويني في الإيضاح، وإن زاد الأول والثاني في معنى الالتفات على المخالفة بين الضمائر ، التعبير ابتداءً بأحد هذه الضمائر في مقام يقتضي غيره؛ وهو ما خالفهما فيه كثير من البلاغيين ، حيث لم يكن عندهم التفاتًا ، وإنما كان عندهم من باب (التجريد)، على غرار ما نجده في الإيضاح وسائر شروح التلخيص.[3]

---

[1] - انظر : ابن رشيق ، العمدة ، ٢/٤٥ – ٤٧ .

[2] - انظر : ابن الأثير ، المثل السائر ، ٢/٤ .

[3] - للمزيد من الإحاطة بتطوير مصطلح الالتفات عن البلاغيين العرب ، انظر: دكتور حسن طبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ١١-٢٩ .

ولعل سبب استحسان البلاغيين العرب لظاهرة الالتفات أو استعمال الضمائر بخلاف ما يقتضيه الظاهر ويترقبه السامع – يعود إلى ما ذكره كل من الزمخشري في الكشاف وابن الأثير في المثل السائر، من تطرية لنشاط السامع وإيقاظه للإصغاء للكلام ، إلى جانب الفوائد البلاغية والدلالية الأخرى التي يختص بها كل التفات على حدة ، بحسب السياق . حيث قال الزمخشري في ذلك " إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع ، وإيقاظًا للإصغاء إليه، من إجرائه على أسلوب واحد ، وقد تختص مواقعه بفوائد."(١) كما نص ابن الأثير فى وظيفة الالتفات على ما يقترب من كلام الزمخشري ،إذ يقول في المثل السائر:" إن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة ، وإنما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود، وذلك المعنى يتشعب شُعَبًا كثيرة لا تنحصر ، وإنما يؤتى بها على حسب الموضع الذي ترد فيه."(٢)

ومن الأمثلة التي استحسنها البلاغيون على الالتفات ، قوله تعالى :(الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) الفاتحة: ٢ - ٥ ، وهو التفات بالخطاب في الآية الأخيرة (إياك نعبد وإياك نستعين) ، عن الغيبة التي وردت في الآيات السابقة عليها.

ومن أبرز ما ذكر من معانٍ بلاغية في توجيه هذا الالتفات ، أن الآيات الثلاث الأولى ثناء على الخالق عز وجل ، والثناء في الغيبة أولى ، أما الآية الرابعة فهي دعاء وسؤال ، والدعاء والسؤال في الحضور أولى.

ومما ذُكِرَ في توجيه هذا الالتفات كذلك، أن مبتدأ الخَلْق الغيبة منهم عن معرفته سبحانه، وقصورهم عن محاضرته ومخاطبته، وقيام

---

١ – الزمخشري ، الكشاف، ١/١٠ .

٢ – ابن الأثير ، المثل السائر ، ٢/٤ .

حجاب العظمة دونهم ، فإذا ما عرفوه بما هو له، وتوسلوا للقرب بالثناء عليه ، تأهلوا لمخاطبته ومناجاته.(١)

وقد ذكر البلاغيون فى باب الالتفات بين الضمائر كثيراً من الأمثلة والشواهد القرآنية والشعرية والنثرية ، وبيَّنوا أن لكل التفات معنى من معاني البلاغة يقصد إليها المتكلم ويقتضيها سياق الكلام ومقامه، وأن هذا المعنى لا يمكن تحققه إلا بهذا الالتفات ، الأمر الذي يحدو بالدراسة إلى التأكيد على أن ظاهرة الالتفات مثلها مثل غيرها من ظواهر العدول بالمعنى – تمثل لبنة في البنية الدلالية التحتية العميقة للنص، وأن هذه البنية لا يمكن تكوُّنها ، كما لا يمكن تحليلها ونقدها، إلا بإدراك ظواهر العدول الدلالي والبلاغي للمعنى .

(٢.ب.٦) ظاهرة الحذف

تتأسس الجملة ونظم الكلام وتركيبه في العربية علي الحذف ، وليس على الذكر وحده ؛ لأنه إذا كان من المعتمد في العربية كغيرها من سائر اللغات ، أن الألفاظ خدم المعاني وتابعة لها ولاحقة بها ، فليس من داعٍ لذكر لفظةٍ، عُلم معناها من السياق، أو عَلِمَ المخاطبُ بها سلفًا، أو جهل بها كل من المتكلم والمخاطب؛ إذ تَحذِفُ العربية الكلمة في كل هذه المواضع إيثارًا منها للإيجاز والاختصار ، وعملاً بِسَنَنِها العام المتبع في الألفاظ ، وهو طلب الخفة والاقتصاد. علاوة على هذا وذاك فإن من شجاعة العربية في تصرفها في وجوه كلامها إيثارُها بل إيجابُها حذف اللفظ في بعض حالاته ، نظرًا لما تحققه بالحذف من معانٍ وأغراض ما لا تحققه بالذكر.

وإلي مثل هذا قد ذهب شيخ البلاغيين بقوله في الحذف بأنه : "باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر، شبيهٌ بالسحر، فإنك ترى به

---

١ - انظر في ذلك : الزمخشري ، الكشاف ، ١/ ١٠ .

تركَ الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تَنْطق ، وأتمّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبِنْ." (١)

ومن وجوه الحذف في العربية، حذف المبتدأ، وحذف الخبر، وحذف الفاعل، وحذف المفعول به، وحذف جواب الشرط، وغير ذلك من الحذوف التي تمارسها العربية في كلامها تحقيقًا للاختصار والإيجاز في اللفظ، وللزيادة والخصُوصية في المعني .

هذا، وقد اشترط البلاغيون العرب لقبولهم واستحسانهم لحذف الكلمة شروطًا ، تتمثل في القرائن المعنوية التي أوجبوها لتكون روابط دلالية تترابط بها المعاني ، ويُستدل ببعضها على بعض بعد الحذف ، حتى لا يترتب على الحذف غموضٌ ولبسٌ في الدلالة . وقد ذكرنا من هذه القرائن والروابط الدلالية على الحذف ، أن يكون سياق الكلام دالاً علي المحذوف ، كحذف المبتدأ من الكلام حالة كونه جوابًا عن سؤال ، مثل قولك : (بخير) ، بحذف المبتدأ ، إجابةً على سؤال : كيف أنت ؟ ، ومثل قوله تعالى:(فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ)الأنعام : ١٠٤ أي فإبصاره لنفسه ، وعَماهُ عليها . ومثل حذف المبتدأ حذف جواب الشرط ، إذ تُحذف جملة الجواب ويُكْتَفى بجملة معللة لها، مثل قوله تعالى: (وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) آل عمران : ٩٧ وتقديره : ومن كفر فكفره لن يضر الله شيئًا ، لأن الله غني عن العالمين . فالحذف الواقع في جواب السؤال أو جواب الشرط ، عليه دليل من السؤال أو من جملة الشرط ، أو الجملة الواردة في جواب الشرط ، لا لتسد مسده ، بل لتعلل حصوله ، وتؤكد وقوعه .

ولا يفوتنا هنا أنْ نذكر أنّ العربية قد تجشمت في كلامها بعض الحذوف الخفيّة ، كحذف الفاعل وبناء الجملة للمفعول ، وكحذف مفعول الفعل المتعدي وقَصْر الفعْل على الفاعل.. وهذا ما قَبِلَهُ البلاغيون

---

١ ـ عبد القاهر، دلائل الإعجاز ، ١٤٦ .

العرب ، واستحسنوه من المتكلم ، بشرط أن يكون للمتكلم قصدٌ أو معنى خاص ، يريد إبرازه والتأكيد عليه ، كأن يَحذِفَ الفاعل ليركز عناية المخاطب على حدوث الفعل ملتبسًا بالمفعول به ، دون العناية بِمَن الفاعل ، مثل قولك : هُزِم البطلُ عليٌّ ، لأن المخاطب ما كان يتصور أن البطل عليًا يمكن أن يهزم يومًا من الأيام .

ومن الحذوف الخفية كذلك حذف المفعول به للتعميم ، مثل قوله تعالي : (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) يونس: ٢٥ ، ومثل قوله تعالي : (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى {٤٣/٥٣} وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا) النجم : ٤٣ - ٤٤ ، وقد علّقَ عبد القاهر على فائدة حذف المفعول هنا ، بقوله : " المعنى : هو الذي منه الإحياء والإماتة والإغناء والإقناء ، وهكذا كل موضع كان القصد فيه أن تثبت المعنى في نفسه فعلاً للشيء ، وأن تخبر بأنّ من شأنه أن يكون منه ، أو لا يكون إلا منه، أو لا يكون منه ، فإن الفعل لا يُعَدّى هناك ، لأن تعديتهُ تَنْقُضُ الغرض ، وتغيِّر المعني."(١)

والمقصود بالحذوف الخفية تلك الحذوف التي لا يُستدلُّ على غرضها وفائدتها في الكلام إلا من السياق ، حيث يتطلب السياق هذا الحذف ويوجبه توفيةً لقصد المتكلم من الكلام ، لأن ذكر المفعول في مثل هذه السياقات ، كما نص على ذلك عبد القاهر ، تنقض الغرض ، وتغير المعنى ، أي تنقض غرض المتكلم ، وتحول معنى الكلام عن جهته المقصودة من النظم والسياق ، فشتان بين أن يكون قصد المتكلم تعدية فعل الفاعل إلي مفعول محدد ، عندما نذكر المفعول به في الكلام ، وبين أن يكون قصده إثبات الفعل للفاعل ، على سبيل تعميم التعدية وإطلاقها ، وذلك عندما يحذف المفعول به من الكلام .

---

١ - عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ١٥٤ – ١٥٥ .

ومن يتأمل نص عبد القاهر في تعليقه على حذف المفعول به في الأمثلة السابقة ، وهو لا يختلف في ذلك عما يذهب إليه سائر البلاغيين العرب ، يدرك تمامًا أن البلاغيين العرب لم يستحسنوا من الحذف ما كان جائزًا فقط ، كحذف المبتدأ عند جوابك عن سؤال السائل ، مثل قولك : في البيت ، لمن سألك: اين محمد ؟ بل استحسنوا من الحذف ما كان واجبًا ، كحذف المفعول به إطلاقًا لنسبة الفعل وتعديته إلي الفاعل ، كقولك : هو يعطي ويمنع ، تطلق قدرة الفاعل على الإعطاء والمنع، دون تحديد ذلك وتخصيصه في مفعول به واحد ، لو ذُكر .

ومن ثم فقد أدرك البلاغيون العرب أن الحذف من سَنَن العربية في التعبير ، مثله في ذلك مثل الذكر ، لأنها تحقق بالحذف معاني وأغراضًا لا تحققها بالذكر ، وبذلك يصبح للحذف نفسه قيمة بلاغية وأسلوبية في تشكل معنى الجملة ، فقد لا يتحقق معني الجملة وقصد المتكلم منها إلا به، ومن ثم تترابط وتتكامل به الدلالات داخل النصّ ؛ لأن النص ليس سوى مجموعة من الجمل ودلالاتها، بالإضافة إلى بعض الروابط أو الظواهر الدلالية الأخرى التي تترابط بها الجمل والفقرات داخل النص في بنية دلالية متكاملة .

وفي نهاية هذا المبحث الخاص بظواهر الترابط الدلالي يتبين لنا بالأدلة أن تماسك النص لا يكون فقط بالروابط اللفظية الظاهرة ، مثل : أدوات العطف ، والوصل ، و الضمائر ، وأسماء الإشارة ، وغير ذلك من أدوات الربط اللفظي والرصف النحوي للنص، وإنما يتأسس التماسك النصي ــ إلى جانب هذه الأدوات ــ على ظواهر الترابط الدلالي .

(٢.ب.٧) ظاهرة الوصل بترك حرف العطف

ذكرنا قبلُ أن أكثر ما احتفى به البلاغيون في مباحث علم المعاني ، باب أسموه باب (الفصل والوصل)، غير أن هذه الدراسة لا توافق البلاغيين في تسميتهم هذا الباب بهذا الاسم ، وتذهب إلى أولوية تسميته

بباب (الوصل) أو (الوصل بالأداة أو الوصل بدونها) ، ودليل الدراسة في افضلية تسميتها أن حالات الفصل نفسها التي درسها البلاغيون يعنون بها (ترك العطف) ، وترك العطف لا يعني في الاستعمال اللغوي فصل المعاني بعضها عن بعض ، وإنما يعني واحداً من أمرين ، وهما :

١ – اتحاد الجملة الثانية مع الجملة الأولى في قضية المعنى وجهة الكلام ، كأن تكون الجملة الثانية بَدَلَ بَعْضٍ أو بَدَلَ اشتمالٍ من الجملة الأولى ، أو توكيداً لفظيًا أو معنويًا لها ، أو مُفَصِّلَةً لإبهامها ، أو مُعَلِّلَة لها ، وكلها حالات تشهد باتصال المعنيين لا بانفصالهما.

٢ - اتحاد الجملة الثانية مع الجملة الأولى في قضية المعنى ، غير أنهما مختلفتان في جهة الكلام ونسبته، كأن تختلف الجملتان إنشاءً وخبراً، فَيُتْرَكُ العطفُ دفعًا لِلَبس والتوهم ، أو دفعًا لحمل الكلام على غير جهته أو مراده .

ومن ثم تتجلى قدرة البلاغيين العرب على إدراك الترابط الدلالي الذي تترابط بها الجمل داخل النص، في دراستهم للمواضع التي يمتنع أو يُترك فيها العطف ، حيث أدركوا الأسباب التي يمتنع لأجلها العطف بين الجمل ، فذكروا منها : كمال الاتصال بين المعنيين ، وهو موضع يمتنع فيه العطف ، نظراً لما يوجد بين المعنيين فيه من اتحاد تنتفي معه المغايرة التي تُشترط لحصول العطف بين المعاني . أما كمال الانفصال الذي ذكره البلاغيون سببًا آخر لامتناع العطف أو تركه بين المعنيين فيعنون به اختلاف المعنيين في جهة الكلام ونسبته ، كاختلافهما إنشاءً وخبراً ، وهو اختلاف وليس انفصالاً كما ذكر بعض البلاغيين العرب ؛ لأن ثمة اتفاقًا بين المعنيين في القضية المعالجة ، الأمر الذي يجعل الدراسة تأخذ على بعض البلاغيين العرب ما أسموه بمصطلح (كمال الانفصال)، إذ لو كان ثمة انفصال تام بين معنيين من معاني النص ، لأدى ذلك إلى معاظلة أو معاداة مذمومة بين المعاني ، وهذا ما لم يقصده البلاغيون من مصطلحهم (كمال الاتصال).

(٣.ب.٨) ظاهرة التقديم والتأخير

تأتي اهمية هذا الباب – على نحو ما ألمح البلاغيون – من كونه مُمَثِّلاً احد اوجه النظم في الكلام العربي ، فقد يأتي الكلام على أصل وضع الواضع ، وقد يحدث فيه تقديم وتأخير ، ويكون الكلام على أي الوجهين مفيداً معنى ؛ لا يفيده الآخر ، لأن اي حال يجيء عليها النظم والتركيب لابد ان يكون لها معنى مقصود للمتكلم ومقتضىً من السياق والمقام ، ولهذا قال عبد القاهر : " اعلم ان من الخطأ ان يقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين ، فيجعل مفيداً في بعض الكلام وغير مفيد في بعض ، وان يعلل تارة بالعناية ، واخرى بانه توسعة على الشاعر والكاتب ، حتى تَطَّرِدَ لهذا قوافيه ولذلك سجعه . ذاك لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى."(١)

ويؤكد عبد القاهر بقوله السابق عدة امور ، لطالما حرص على تأكيدها في غير موضع من كتبه ، وهى امور تختص باللفظ والنظم والمعنى ، ودورها في تشكل البنية الدلالية للنص ، وهي :

ان اللفظ ووجوه النظم والتركيب خدم للمعنى ، فأي وجه يجيء عليه اللفظ والنظم يكون لفائدة مقصودة ولمعنى مخصوص ، ولا يمكن ترجمته أو مرادفته أو استبداله إلا على سبيل التجوز وجملة الكلام وعمومه .

ان كل نظوم التركيب ووجوه اللفظ والأسلوب لا تحسن من المتكلم ، ولا تروق في سياق الكلام ، إلا إذا جاءت خدمة لمعانيه ، أما إذا وردت لغرض لفظي في المقام الأول ، على سبيل اعتدال اللفظ في الوزن والسجع والقافية ، فهو قبيح ومرفوض ، لأنه يكون بالضرورة على حساب المعني .

---

١ ـ عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ١١٠

ان ترتيب الكلام في اللفظ والنطق تالٍ لترتيب المعاني في النفس .

وضرب عبد القاهر مثالاً على كلامه من الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم في قوله : (وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ) الأنعام : ١٠٠ ، ثم بيّن عبد القاهر ان سر الإعجاز في الآية في تقديم كلمة (شركاء) على كلمة (الجن) ، إذ يقول : " إنّا وإنْ كنا نرى جملة المعنى ومحصوله انهم جعلوا الجن شركاء وعبدوهم مع الله تعالى ، وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم ، فإن تقديم (الشركاء) يُفيد هذا المعنى ، ويفيد معه معنى آخر ، وهو انه ما كان ينبغي ان يكون لله شريك لا من الجن ولا غير الجن."(١) لأن الآية فيها استنكار ، فمع تاخير (شركاء) يكون الاستنكار على اتخاذهم الجن شركاء لله ، ومع تقديم (شركاء) يكون الاستنكار على إشراكهم مع الله غيره من الجن او من غيره .

ولهذا قال عبد القاهر في موضع آخر معللاً حكمه : " فانظر الآن إلى شرف ما حصل من المعنى بأن قدم (الشركاء) ، واعْتَبِرْهُ فإنه ينبهك لكثير من الأمور ، ويدلك على عظيم شأن النظم ، وتعلم به كيف يكون الإيجاز به وما صورته ؟ وكيف يُزادُ في المعنى من غير أن يزاد في اللفظ."(٢)

ويتضح من التقديم والتأخير في المثال السابق ، أن تقديم كلمة (شركاء) افاد معنى بلاغيًا وهو عموم استنكار الشريك مع الله، ايًا كان من الجن او من غيرهم، كما افادت-معنى آخر، عندما تاخرت كلمة (الجن) عنها وجاءت بعدها، لتعيد الذهن مرة ثانية إلى كلمة (شركاء)، ليسترجع الذهن معناها في استنكار اتخاذ الجن شركاء لله. ولعلّ في هذا الاسترجاع والارتباط الحاصل بين معنى الكلمتين حصولًا للتماسك النصي والترابط الدلالي.

---

١ - عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ٢٨٦ .

٢ - عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ٢٨٨ .

٢-ج ظواهر الترابط الدلالي ودورها في تماسك النص عند علماء لغة النص

سبقت الإشارة إلى اهتمام علماء لغة النص بالترابط الدلالي للنص، إلى حد أنهم أقاموا كينونة النص عليه؛ فنظروا إلى النص على أنه وحدة دلالية لا في الشكل بل في المعنى[١]. أو على انه استمرار دلالي وترابط مفهومي لمجموعة من الأفكار والدلالات، التي تتعالق جميعها في تفاعل واطراد ومنطقية حول رابط دلالي واحد أو مقصد عام للنص. وهذا الترابط الدلالي هو ما اصطلحوا عليه بمصطلح (الحبك أو الانسجام الدلالي Coherence) [٢].

ولقد برز الاهتمام بالترابط الدلالي عند المشتغلين بتحليل النص حديثا، سواء على مستوى الجملة أم على مستوى الفقرة والنص، فَعرّف الدكتور مصطفى حميدة الترابط الدلالي على مستوى الجملة بانه: "نشوء علاقة نحوية سياقية وثيقة بين معنيين دون واسطة لفظية، فهي أشبه بعلاقة الشيء بنفسه"[٣]. حيث وافق فيما ذهب مذهب عبد القاهر الجرجاني في أن الارتباط الدلالي بغير الأداة أقوى من الربط بالأداة أو الوصل بحرف العطف، فالارتباط يحدث بين معنيين متطابقين أو بينهما قمة الاتصال وكماله، بينما الربط بالأداة يحدث بين معنيين بينهما اشتراك ومشابهة من جهة، وانفصال ومغايرة من جهة أخرى.

ومثال ذلك الارتباط الدلالي والاتحاد الموجود في قولنا: جاء أبو عبد الله محمد، فمحمد هو أبو عبد الله نفسه. أما قولنا: جاء أبو عبد الله ومحمد، فيفيد أن محمداً يشترك مع أبي عبد الله في المجيء، ولكنه في نفس الوقت يختلف عنه ويغايره، فكل منهما شخص غير الآخر، وليس هو إياه.

---

[1] - Halliday, and Ruqaya Hasan, Cohesion in English, p.1.

[٢] - انظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ١٠٣.

[٣] - دكتور مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، المقدمة، ١.

ولقد ذكر الدكتور مصطفى حميدة ظواهر الارتباط الدلالي على مستوى الجملة متمثلة في علاقة الإسناد، وعلاقة التعدية، وعلاقة الإضافة، وعلاقة الملابسة (الحال وصاحبها)، وعلاقة الظرفية، وعلاقة التحديد (المفعول المطلق)، وعلاقة السببية (المفعول لأجله)، وعلاقة التمييز، وعلاقة الوصفية، وعلاقة الإبدال والاتحاد، وعلاقة التأكيد، وغير ذلك من علائق الترابط الدلالي التي تترابط بها المعاني بدون أداة ربط[1].

أما على مستوى الفقرة والنص فقد ذكر علماء لغة النص عدة ظواهر للترابط الدلالي، يمكن أن نعرضها فيما يلي:

(٣.ج.١) تعالق المعاني وملاءمة الموضوعات

ويُعنى بها أن نبني الجملة أو النص على معاني بتعلق بعضها على بعض في الواقع، وأن تكون موضوعات متلائمة فيما بينها حتى يكون بينها ملاءمة موضوعية، على غرار ما ذكر العالم النصي فان دايك، قال: "الشرط الأدنى لترابط القضايا التي تعبر عن جملة متتالية في النص هو ارتباطها بموضوع التخاطب نفسه"[2].

ومثال ذلك على مستوى الجملة: جون أعزب، غير متزوج، أو جون أعزب وبتير متزوج.

وذلك بخلاف: جون أعزب وأمستردام عاصمة هولندا.

(٣.ج.٢) توالي الخطاب وتسلسل الأحداث

يتحقق الترابط الدلالي للنص من خلال توالي الخطاب وعدم انقطاعه، وتسلسل أحداثه ضمن علاقات دلالية منطقية، على نحو ما نجده من

---

[1] - انظر ذلك: دكتور مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ١٦٣.

[2] - Van Dijk,Text and Contex,p.52.

علاقات بين المعاني، كعلاقة العام بالخاص، والكل بالجزء، والكبير بالصغير، والمتضمِّن والمتضمَّن، بحيث تتضح معاني النص بعضها ببعض[1].

ومثال ذلك تسلسل الأحداث في الآية الكريمة:

قال تعالى: {فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ}يوسف، ٣١.

ومثال تتابع الأحداث في شكل علاقة منطقية بين العام والخاص قوله تعالى: { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } الشمس، ٧، ٨.

(٣.ج.٣) الترتيب الزمني لأحداث الخطاب

لعله لا يخفى أن ترتيب أحداث الخطاب، حسب ترتيب حدوثها في الزمان، يؤدي إلى توالي الخطاب وترابط أحداث النص ودلالته في بنية واحدة[2].

ومثال ذلك ما أورده دكتور محمد خطابي:

أمسِ كان الطقس حارًا، لذا ذهبنا إلى الشاطئ . فالمثال السابق فيه ترتيب الخطاب زمنيًا، وذلك بخلاف:

أمسِ كان الطقس حارًا جدًا، فذهبنا إلى الشاطئ في الأسبوع الماضي. فهذا المثال يفقد الترابط بين جمله ومعانيه ؛ نظرًا لعدم ترتيب الخطاب فيه زمنيًا.

---

[1] ـ انظر: دكتور محمد خطابي، لسانيات النص، ٣٨-٣٩.

[2] ـ انظر: دكتور محمد خطابي، لسانيات النص، ٣٢.

ومثال ذلك في العربية قوله تعالى: { قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * من نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ } عبس، ١٧-٢٢.

(٣.ج.٤) الحذف Ellipsis

لقد آثر الباحث ذكر الحذف ضمن ظواهر الحبك أو الارتباط الدلالي للنصCoherence، على خلاف ما فعله بعض علماء النص(١)، ذكروه ضمن وسائل التماسك اللفظي Cohesion؛ وذلك لأن الباحث يرى ان كل أدوات التماسك ووسائل الرصف اللفظي تظهر في النص ملفوظة، بخلاف ظواهر الترابط الدلالي تكون ملحوظة، ولا تُدْرَك إلا على مستوى معاني النص والعلاقات الدلالية بينها.

ويؤكد هذ بشكل غير مباشر كل من هاليداي ورقية، فهما إن وصفا الحذف على انه شبيه بالاستبدال، يقصدان أنه استبدال بالذكر، حيث يُحذف اللفظ أو الجملة بدلا من ذكرها؛ ولذلك نجدهما ينصان على أن الحذف:" استبدال بالصفر"(٢) وليس(استبدالا من الصفر) كما ذكر الدكتور أحمد عفيفي(٣)؛ لأن عملية الاستبدال تتم في هذه الظاهرة بين ذكر اللفظ وحذفه، فيَسْتَبدل الحذف بالذكر، أي يُترك الذكر ويُفَضَل الحذف؛ وذلك بشرطين على نحو ما سبق على ذكر ذلك البلاغيون القدامى، على نحو ما ذكرنا عنهم آنفًا في المبحث السابق، وهما: أن يكون في النص أو في المقام ما يدل على المحذوف، وأن يكون للحذف معنى لا يتحقق بالذكر.

---

١ - انظر: دكتور أحمد عفيفي، نحو النص ١٠٥، وانظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ٢٠٩، ٢١١

2 - Halliday, and Ruqay Hasan, Cohesion in English, 142

٣ - دكتور أحمد عفيفي، نحو النص، ١٢٦

أي أن المحذوف يبقى مكانه في اللفظ فارغًا، بحيث يُعَوَّل في ذلك على المخاطَب أو المتلقي، ليقوم هو بملء هذا الفراغ ، ويُقَدِّرُ المحذوف من المتواليات السابقة للنص أو من المقام. ولعل فيما يقوم به المتلقي من تأويلات وتقديرات في ضوء الإحالات اللفظية أو المقامية السابقة ـ ما يحقق تماسكًا للنص وترابطًا بيد دلالاته.

ومثال ذلك : (يقرأ جون قصيدة ، وكاترين قصة). أي يقرأ جون قصيدة ، وتقرأ كاترين قصة، فحذف الفعل الثاني استدلًا عليه بالفعل المذكور أولًا.

وما تلاحظه الدراسة هنا أن البلاغيين العرب وسعوا باب الحذوف عما فعله علماء لغة النص؛ لأنهم اعتمدوا ـ على نحو ما ذكرنا عنهم في المبحث السابق ـ بعض الحذوف التي لا يوجد عليها دليل من النص أو السياق، وذلك عندما يكون الحذف للجهل بالمحذوف: كقولنا: سُرِق البيتُ، أو عندما الحذف لتعميم الفعل وإطلاقه دون قيد بمفعول، مثل قوله تعالى: (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى {٤٣/٥٣} وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا) النجم : ٤٣ - ٤٤ ، وقد علّقَ عبد القاهر على فائدة حذف المفعول هنا ، بقوله : " المعنى : هو الذي منه الإحياء والإماتة والإغناء والإقناء ، وهكذا كل موضع كان القصد فيه أن تثبت المعنى في نفسه فعلًا للشيء ، وأن تخبر بأنّ من شأنه أن يكون منه ، أو لا يكون إلا منه ، أو لا يكون منه ، فإن الفعل لا يُعَدّى هناك ، لأن تعديتهُ تَنْقُضُ الغرض ، وتغيِّر المعني."(١)

(٣.ج.٥) التضام Collocation

يُعنى بالتضام عند علماء لغة النص:" توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرًا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك."(٢) وهذه العلاقات متنوعة: قد تكون علاقة تضاد أو علاقة تنافر أو علاقة الكل

١ ـ عبد القاهر ، دلائل الإعجاز، ١٥٤– ١٥٥
٢ ـ محمد خطابي، لسانيات النص ، ٢٥

بالجزء أو علاقة الجنس بالنوع أو علاقة السبب والنتيجة أو علاقة رتبة أو درجة، مثل ما نجده بين: الميت والحي ، الإنسان ومحمد، السنة والشهر ، أسفل وأعلى، الأحمر والأصفر،وغير ذلك من أزواج الكلمات المتضامة التي تؤكد لنا أن الرابطَ والضامّ بينها معنويّ ودلاليّ وليس لفظيًا؛ الأمر الذي جعل الباحث يذكر التضام ضمن ظواهر الحبك أو الارتباط الدلالي للنصCoherence، على خلاف ما فعله بعض علماء النص(١)، ذكروه ضمن وسائل التماسك اللفظي Cohesion ؛ لأن هذا التضام يُعنى به المجال الدلالي Semantic Field الذي يستعين به علماء الدلالة والمعاجم في دراسة دلالة الكلمات وتصنيفها معجميًا ضمن معاجم الموضوعات أو المعاني، على نحو ما فعل حديثصا الدكتور أحمد مختار عمر.

١ - انظر: دكتور احمد عفيفي، نحو النص ١٠٥، وانظر : محمد خطابي، لسانيات النص، ٢٠٩، ٢١١

CamScanner

نتائج الدراسة

لقد قامت هذه الدراسة بالبحث والتنقيب في مصنفات كل من البلاغيين العرب وعلماء لغة النص؛ بُغية الكشف عن مدى إدراك كل فريق لأدوات الربط اللفظي وظواهر الترابط الدلالي، سواء عند تنظيرهم للنص أم عند نقدهم له وتحليلهم لمعانيه، ثم مقارنة معطيات الدرس البلاغي بمعطيات الدرس النصي؛ لبيان جوانب الاتفاق والاختلاف بين الفريقين في ذلك، والجوانب التي تَفَوَّقَ أو تَمَيَّزَ فيها كل فريق، سواء في عمق الإدراك أو شموليته عند الكشف عن أدوات الربط اللفظي وظواهر الترابط الدلالي، التي يتأسس عليها تماسك النص على مستوييه: اللفظي والدلالي.

وخلال هذه الرحلة من البحث والتنقيب والمقارنة، توصلت الدراسة إلى عدة نتائج علمية، يمكن أن نذكر أهمها على النحو الآتي:_

أولًا:- حررت الدراسة بعض المصطلحات والمفاهيم عند البلاغيين العرب، مثل مصطلح (الفصل) الذي ساقه معظم البلاغيون العرب في مقابل مصطلح (الوصل)، على نحو ما هو معروف عنهم بباب(الفصل والوصل) ، الأمر الذي يُشعر القارئ بأن (الفصل) عكس الوصل يُقصد به مطلق الفصل والتفريق بين معاني النص وعدم اتصال بعضها ببعض، ومن ثم يكون الفصل في معظم حالاته قبيحًا ومناقضًا للبلاغة؛ لأن أي نص يُبنى في الأساس على الوصل والربط بين معانيه، رغم أن الفصل عند البلاغيين قد يكون لكمال الاتصال بين المعاني وقمة الربط بينها، كما هو الحال بين الصفة والموصوف والتوكيد والمؤكد والبدل والمبدل منه. ولذا، لا غرو أن تقترح الدراسة بدلا من مصطلح(الفصل والوصل) مصطلح (الوصل بالأداة والوصل بدونها).

ثانيًا:- حررت الدراسة بعض المصطلحات عند علماء لغة النص، مثل مصطلح (Cohesion) الذي تداخل عند بعضهم، على مستوى الترجمة

وعلى مستوى التطبيق، مع مصطلح (Coherence)، فوجدناهم يذكرون ظواهر الترابط الدلالي التي يعنيها مصطلح (Coherence) مع أدوات الربط اللفظي التي يعنيها مصطلح(Cohesion)؛ مع أن ثَمّ فرقًا واضحًا بين مفهوم المصطلحين ، وإن كان كلاهما يشتركان في تحقيق ما هو أعم وأشمل منهما وهو (التماسك النصي).

ثالثًا:- أسفرت الدراسة عن تفوق البلاغيين العرب على علماء لغة النص في دراسة ظواهر الترابط الدلالي للنص دراسةً بلاغيةً شاملةً، كشفت عن قيمتها _ لا في تحقيق التواصل والترابط بين معاني النص فحسب كما فعل علماء لغة النص المحدثون _ بل في تحقيق وظائف وأغراض بلاغية أخرى، تتمثل في تشويق المتلقي وجذب انتباهه واستدراجه في الانتقال بين معاني النص، والتلطف به في ابتداء النص أو في اختتامه. هذا، وإن أخذت الدراسة على البلاغيين العرب عدم دراستهم هذه الظواهر الدلالية تحت علم المعاني عندهم ، ودراستهم إياها تحت علم البديع مع التجنيس والترصيع والتصريع وغير ذلك من ظواهر البديع اللفظي.

رابعًا:- كشفت الدراسة عن إدراك كل من البلاغيين العرب وعلماء لغة النص لأهمية التماسك النصي في تحليل النص والكشف عن معانيه، فضلا عن إدراكهما لأدوات الربط اللفظي وظواهر الترابط الدلالي، التي يتأسس عليهما بناء النص وتماسكه سواء على المستوى اللفظي أو الدلالي. كما أنها كشفت عن اختلاف الفريقين في تحقيق شمولية الكشف عن هذه الأدوات وتلك الظواهر.

خامسًا:- أخذت الدراسة على البلاغيين العرب قصور دراستهم لأدوات الوصل والربط اللفظي بين المعاني _ على دراسة أدوات العطف دون سائر أدوات الوصل الأخرى، تحت باب ما أسموه بباب (الفصل والوصل) ، بل قصروا دراستهم تلك على الوصل بواو العطف بين المفردات ثم بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب ؛ الأمر الذي جعلهم يفتقدون

الشمولية في دراسة هذا الباب؛ لأن الوصل بين المعاني لا يتوقف على الوصل بواو العطف، فقد يكون الوصل بين المعاني بوجود الواو، وقد يكون بغيرها من أدوات الوصل الأخرى، بل قد يكون بترك دخول الواو أو غيرها بين المعاني، حيث يمثل ترك أداة الوصل قمة الاتصال والربط بين المعاني.

سادسًا:- كشفت الدراسة عن ان البلاغيين العرب وإن فاتتهم الإشارة إلى كثير من أدوات الوصل بين المعاني في بابهم الذي خصصوه عن (الفصل والوصل) ، إلا انهم ادركوا بعض هذه الأدوات والوسائل في ابواب بلاغية اخرى، مثل إدراكهم الوصل بـ (إنّ) السببية ، والوصل بأدوات الشرط التي تربط جملتيه بعضهما ببعض، والوصل بالذكر والإظهار بعد الإضمار، والوصل بال التعريف واسم الإشارة.

فهرس المراجع

أولًا: المراجع العربية

١. ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٨م.

٢. دكتور أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١.

٣. الأزهر الزناد، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصًا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، ط! ، ١٩٩٣م.

٤. الباقلاني ، إعجاز القرآن ،تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط٣، د.ت.

٥. بروان ويول، تحليل الخطاب، ترجمة دكتور محمد لطفي الزليطي ودكتور منير التربكي،جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م.

٦. ابن الجزري، طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق الشيخ علي محمد الصباغ، الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٧م.

٧. جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة دكتور حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م.

٨. دكتور حسن طبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ،دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٩٩٨م.

CamScanner

٩. الخطابي ، بيان إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله والدكتور زغلول سلام، دار المعارفن القاهرة ، ط٤ ، د.ت .

١٠. ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥ ، ١٩٨١م.

١١. الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله والدكتور زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة ، ط٤ ، د.ت .

١٢. روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة دكتور تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة ، ط١، ١٩٩٨م

١٣. الزمخشري ، الكشاف، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ت .

١٤. دكتور سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري : دراسة في قصيدة جاهلية ، مجلة فصول، القاهرة ، ع٢، يوليو ١٩٩١م .

١٥. السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د. ت .

١٦. السيوطي، الأشباه والنظائر النحوية، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٧٥م.

١٧. السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، القاهرة، نشر محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة، ١٣٢٧هـ .

١٨. شهاب الدين محمود الحلبي، حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تحقيق ودراسة أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠م

١٩. دكتور صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٢٠. دكتور صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، ع١٦٤، اغسطس ١٩٩٢م.

٢١. ابن طباطبا ، عيار الشعر،تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام، دار الشمال للطباعة والنشر، لبنان ، ١٩٨٨م.

٢٢. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد محمود شاكر، الخانجي، القاهرة، ١٩٨٩م.

٢٣. دكتور عبد الواحد علام، القاعدة والنص: دراسة في الفصل والوصل، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٨م.

٢٤. دكتور عماد بوخاري، مظاهر السبك والحبك في نماذج من مقالات سجع الكهان ، مجلة علوم إنسانية، الجزائر، السنة السابعة، ع٤٣، خريف٢٠٠٩م.

٢٥. فولفجانج هاينه وديتر فيهفجر، مدخل إلى علم النص، ترجمة سعيد بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.

٢٦. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى ، الخانجي، القاهرة، ١٩٧٨م.

٢٧. القْزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ١٩٨٥م.

٢٨. القزويني، تلخيص المفتاح ، ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت .

٢٩. الكرماني، أسرار التكرار في القرآن ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٤م.

٣٠. كمال الدين البحراني، أصول البلاغة، تحقيق دكتور عبد القادر حسين، ط١ ، دار الثقافة ، الدوحة، ١٩٨٦م.

٣١. دكتور محروس محمد إبراهيم، المعاني النصية في القرآن الكريم سورة المجادلة نموذجًا، مجلة الإنسانيات، كلية الآداب بدمنهور، القاهرة، مايو ٢٠٠٨م.

٣٢. دكتور محمد حماسة عبد اللطيف، منهج في التحليل اللصي للقصيدة، مجلة فصول، مج ١٥، ع ٢، صيف ١٩٩٦م.

٣٣. محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١م.

٣٤. دكتور محمد عبد المطلب ، قضايا الحداثة عند عبد القاهر، لونجمان، القاهرة، ١٩٩٥م.

٣٥. دكتور محمد مفتاح، دينامية النص: تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط٢ ، ١٩٩٠م.

٣٦. دكتور مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية،الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، القاهرة، ١٩٩٧م.

٣٧. ابن المعتز ، البديع ، تحقيق المستشرق أغناطيوس كراتشقوفيكي ، دار الحكمة ، دمشق، د. ت.

٣٨. ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، القاهرة/ بيروت، دار الفكر، ١٩٦٩م.

٣٩. ابو هلال العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق محمد علي البجاوي ومحمد ابي الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧١م .

ثانيًا : المراجع الأجنبية

1. Chomsky, Aspects of the Theory of Syntax,Cambridge,Mass, 1965.

2. Halliday, and Ruqay Hasan, Cohesion in English, Longman, London,1976.

3. John Lyons, Linguistic Semantics an Introduction,Cambridge university Press,1995.

4. Van Dijk, Text and Context, Longman, London,1977.